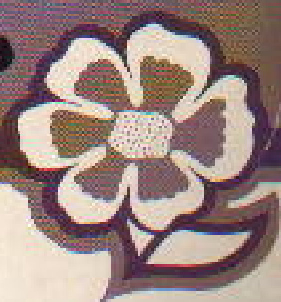


مارغريت بارغيتر

العذاب إذا ابتسم



مارغريت بارغيتر — العذاب إذا ابتسم

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 154

العذاب إذا ابتسم

الحق في تقرير المصير، هل هو في يد الانسان، ام ان هذا الحق هو ملك الآخرين كالأهل والأصدقاء؟

اليكس معذبة... حائرة، تريد تقرير مصيرها الحياتي بيدها ولا ترغب في تدخل امها بمحاولة تزويجها من احد اغنياء مدينة سيدني. لذا تقرر اليكس السفر الى مدينة اخرى للعمل وهكذا تضع اول حجر اساس لبناء حياتها بحرية. لكن تشاء الصدف ان تلتقي هناك تشيس مارشال المتسلط والذي يحاول ان يقرر عنها امورها، فتكرهه وتبدأ السير في دهاليز عذاباتها.

تشيس مارشال صاحب المزارع الواسعة يطلب يدها للزواج، ويطرح طلبه بمنتهى الصلف والغرور، حاسباً ثراءه ووسامته كفيلين باغراء أية فتاة.

لقد حان الوقت لأن يجد من يتحدى سلطته وغروره... لكن العذاب كان لها بالمرصاد!

لبنان ١٠ ل.ل.	الكويت ١ د	اليمن ٤ ر	السودان ٨٠٠م
سورية ١٠ ل.س	الإمارات ١٢ د	تونس ١٥٠٠ د.ا	U.K. £ 1.50
الأردن ٨٠٠ ف	البحرين ١٥٠٠ د.ا	ليبيا ١ د	France F 10
العراق ٥٠٠ ف	قطر ١٢ ر	المغرب ٥ د	Greece Drs 200
السعودية ١٢ ر	عمان ١٥٠٠ ر	مصر ١٠٠ ق	Cyprus P 1.500

www.liilas.com ريما

١- الضيف الغاضب

الشقة تقع في حي فيتزروي في مدينة ملبورن وقد بدت في قمة الترف بالنسبة الى اليكس لاثام. صحيح انها ليست فسيحة لكنها تتسع تماماً للفتاتين اللتين تتشاركانها. اذن ما الذي يدعو روبي مارشال الفتاة الاخرى، الى كل هذا التذمر وبهذه اللهجة النائحة التي توحي بأن المكان بالكاد يتسع لملاعبة قطة؟ هتفت روبي وهي تنفض رأسها بطريقة دراماتيكية:

- اكاد اجن! انّ كلّ شيء يضيع في هذا الجحر!

ومن باب المسايرة، غطست اليكس تحت السرير وقالت بعد ان اخرجت لها حذاء السهرة المفقود:

- ما عليك الآ ان تتعلمي بعض التنظيم يا روبي كي تحتفظي بأغراضك

www.liilas.com ريما

وعقلك معاً.

تأوهت روبي وقالت:

- كيف لي ان اتعلم عادات جديدة وانا في هذا السن؟

تناولت منها الحذاء بدون كلمة شكر واحدة وجلست لتلبسه. لكن الابزيم علق بجوربها الحريري الشفاف فحدجت اليكس بنظرة حانقة اخرى قابلتها شريكتها بنظرة ساخرة. ان روبي لا تلمّح الى عمرها الا حين ترغب في التهرب من فعل اشياء معينة. قالت لها اليكس:

- حسبتك جئت الى ملبورن لتتعلمي الاعتماد على نفسك؟

- صحيح، لكن ما علاقة ذلك بتعلّم الترتيب؟

وفكرت اليكس انها تستطيع اعداد لائحة بالامور الكفيلة بتحسين شخصية روبي، كأن تتعلم التواضع وملاطفة الناس الاقل منها غنى ومركزاً اجتماعياً. فروبي اخبرتها مراراً انها ما تركت بيتها الا هرباً من ضغط الضجر والثراء، لكنها طالما تذمّرت بالمقابل من اضطرارها الى الاستغناء عن وسائل الرفاهية التي كان اخوها يؤمنها لها في منزل مزرعته الضخمة لتربية المواشي في شمال اوستراليا. وبالرغم من شكاوى روبي المتعددة الا ان اليكس كانت تتعاطف احياناً مع بعض مشكلاتها الاخرى الشبيهة بمشكلاتها هي، اذ تأكد لها من كلام روبي أنّ اخاها هذا لا يختلف كثيراً عن امها من حيث محاولة كل منهما السيطرة على حياة الآخرين.

كثيراً ما وجدت اليكس نفسها تفكر في الطريقة الغريبة التي جمعها بها القدر مع روبي بالرغم من التفاوت الكبير بين طبيعتيهما. وعلى ما يبدو كانت روبي القوية الشكيمة تسعى منذ زمن بعيد الى ترك منزلها العائلي، في حين ان اليكس لم تثر فيها رغبة الهرب الا منذ ان تركت المدرسة قبل سنة.

لقد هاجر والدها الى اوستراليا عندما كانت طفلة صغيرة ولذا ليست لديها ذكريات واضحة عن انكلترا. ابوها عالم بالكيمياء الحيوية ويعمل في مركز للابحاث الزراعية قرب مدينة سيدني في مقاطعة نيو ساوث ويلز وقد قرر السفر الى اوستراليا لانه رأى فيها فرص نجاح جيدة تؤمن له مستقبلا افضل وكذلك لابنه وابنته اليكس. والدتها لم تحبذ فكرة الهجرة آنذاك بسبب طبيعتها المتكبرة واعتقادها بان انكلترا توفر فرص نجاح من نوع آخر. كانت على صلات وثيقة بأناس نافذين وهكذا استطاعت ان تتكهّن

ببعض الصعوبات التي ستواجه ولديها لدى استقرارها في الوطن الجديد.

لقد تزوجت بدافع الحب وحيث سمحت لعواطفها لمرة وحيدة بأن تتغلب على احكامها المنطقية الامر الذي اورث فيها ندماً مزمناً حرصت دائماً على اخفائه، وجعلها تصمّم ايضاً على الاّ تدع ولديها يكرران غلطتها نفسها، فكلاهما يجب ان ينعم ببحبوحة مادية لا ان يعيش ضمن حدود الراتب الذي يتقاضاه زوجها والذي قد يبدو كبيراً في نظر الآخرين انما يبدو تافهاً بالنسبة اليها، ولولا مدخولها المالي الخاص لما استطاعت ان تدبر امورها على الاطلاق.

بعد ان استقرت في سيدني مرغمة وطدت العزم على تولّي معظم الامور بنفسها. وفي خلال السنوات الاولى راحت تعمل بجهد على تثبيت مكانتها في ما اعتبرته مجتمعاً غريباً لخلوه من الطبقية والرقي. استطاعت ان تحصد ثماراً طيبة على جهودها اذ تمكنت ان تجد لابنها آلان، شقيق اليكس، زوجة من عائلة معروفة ومحترمة. هذه الخطوة الناجحة التي اعتبرتها انتصاراً لطموحاتها الاجتماعية جعلتها تولي اهتماماً اكبر لتأمين مستقبل اليكس التي كانت تخرجت من المدرسة آنذاك فأوجبت عليها امها ارتداء الثياب المناسبة وارتياد الاماكن الراقية والاختلاط بالناس المناسبين.

حاولت اليكس ان تقنع امها بأنها لا تبغي هذا النوع من الحياة وان والدها غير قادر على تلك المصاريف الاضافية وانها ستجعلهم اضحوكة بين الناس اذا اصرت على موقفها، لكن محاولاتها ذهبت ادراج الرياح. بعد ذلك صارت اليكس توزّع طاقاتها بين عملها المكتبي وبين محاولاتها الحثيثة لهزم مناورات امها والى ان اختارت لها شاباً لتزوجها منه كرهاً، الامر الذي اضطرّها الى الاستنجاد بأبيها بقولها:

- انها تفعل ذلك لتؤمن لي زوجاً ثرياً وانا لا ارغب في الزواج في الوقت الحاضر وخاصة من رجل ثري.

لكن ريتشارد لاثام تمسّك بولائه المعهود لزوجته وأجاب بحجة واهية:

- انا اكيد ان امك تسعى دائماً الى مصلحتك.

ولأول مرة اشمأزت اليكس من محاولات ابيها الواضحة للتهرب من موضوع مزعج كهذا وقالت له باستياء:

- لماذا لا تفرض رأيك عليها يا بابا؟ انا واثقة من قدرتك على مساعدتي

اذا حاولت. لا اريد التقيد بالزواج قبل عدّة سنوات، وعندما يحين الوقت اودّ ان اختار زوجي بنفسي.

- امك تعتقد ان هذا الشاب دون فيشر قد انجذب اليك. فاحتجت بقولها:

- لكني لا اعرف شيئاً عن مشاعري تجاهه!

- تذكري انه من عائلة ومرموقة.

حدّقت اليه آنذاك بخيبة يائسة وادركت انه ينبغي عليها خوض معاركها بنفسها. لكن بعد مرور عدة اسابيع على مقاومتها المرهقة لمحاولات امها ودون فيشر المتحدين ضدها، حدث شيء اقنع اليكس بأن السماء لم تتخل عنها نهائياً. هذا الانقاذ هبط بشكل برقية ارسلت من انكلترا، قالت سطورها ان والدة ائيد لاثام اي جدة اليكس، قد مرضت فجأة وطلبت استدعاء ابنتها، وهكذا اضطرت امها الى تلبية النداء. في الاسبوعين الاولين لغيابها فكرت اليكس في حل ينقذها من مشكلتها. وقررت في الاخير ان تبحث عن عمل في مكان آخر. لقد دهشت وتأثرت الى حدّ كبير حين عرض عليها ابوها ان يساعدها وخجلت من نفسها لكونها نفضت يديها منه في السابق واتهمته بالجبن والخضوع التام لأمها. قال لها:

- لقد علمت بوجود وظيفة شاغرة في شركة ترعى شؤون الماشية، في ملبورن، وهي لا تبعد عنا كثيراً، لكنها تبعد على الاقل مسافة كافية تتيح لك التخلّص من المساهمة في النشاطات الاجتماعية التي تكرهين، وفي الوقت نفسه تكونين قريبة الى حد ما، وحيث نستطيع الاطمئنان عليك ساعة نشاء.

فسألته بحيرة:

- وظيفة في شركة رعوية؟

- انه مجرد اقتراح، ولا بأس من المحاولة.

- لكن اين سأسكن؟

- من الأفضل ان تمكثي في فندق صغير ريثما تجدين شقة مناسبة. لا شك ان زميلاتك سيساعدنك متى تعرفت اليهن جيداً.

لم تواجه الصعوبات التي توقعتها. اجريت معها مقابلة امتحانية واسندت اليها الوظيفة التي كانت تشغلها فتاة اكبر منها سناً، تاركة ايضاً

مكاناً شاغراً في الشقة التي كانت ستشارك سكنها مع فتاة اخرى، تعمل في الشركة نفسها واسمها روبي مارشال.

ولمّا عرضت عليها اليكس ان تأخذ مكان شريكتها الاولى، لم تلق عليها روبي الاّ نظرة عابرة ثم وافقت على عرضها شرط ان توافق على القيام بمعظم الاشغال المنزلية. وحين ذكرت بدل ايجار متهاود جداً احست اليكس انها ستكون مجنونة اذا رفضت، فما همّ ان تغسل بعض الاطباق المستعملة؟ من هي روبي مارشال الى جانب كونها زميلة في العمل ويعاملها المدير باحترام فائق؟ لم تر موجباً لأن تقلق نفسها بمعرفة المزيد عنها. لكن بعدما رأت الشقة بدأت التساؤلات تزعجها الاّ انها سرعان ما نسيتها في غمرة انهماكها في التكيّف مع حياتها الجديدة.

أثبتت روبي مارشال انها فتاة حلوة المعشر انما اثبتت ايضاً انها كسولة جداً في الاعمال المنزلية وهكذا امتلأ وقت اليكس بالشغل داخل البيت وخارجه وشعرت بالارتياح لأن امها مشغولة عن زيارتها في الوقت الحاضر لانها لو جاءت، فلن تجد اليكس وقتاً للاحتفاء بها كما يجب. الآن نظرت متسائلة الى روبي التي كانت تحوم في ارجاء الغرفة وكأنها لن تخرج الى اي مكان. سألتها اليكس:

- الن يكون صديقك في انتظارك؟

هزت روبي كتفيها بضجر وقالت:

- اظنه ينتظر. انما لماذا تسألين؟ اتريدين التخلص مني؟

- بالطبع لا، ليس لدي ما افعله سوى غسل شعري الذي يحتاج الى تنظيف متكرر.

القت عليها روبي نظرة لا مبالية قائلة:

- ذلك لانك شقراء جداً، على ما اظن.

اليكس اقدمت في الاسبوع الماضي على قص شعرها وتغيير تسريحته. كان طويلاً يصل كتفيها لكنه اصبح الآن كحرير كث متألق، يموج جميلاً عندما تمشي وتتحرك وقد اضفت هذه التسريحة على عنقها الطويل ورأسها المرفوع هالة من الجلال الناعم. انها بصورة عامة، تبدو كظبية شديدة التيقظ بأطرافها النحيلة وخصرها الدقيق ونظرة الحذر الخفيفة في عينيها الزرقاوين الرائعتين والتي اكتسبتها مع الوقت من جراء مقاومتها المستمرة

www.liilas.com ريما

لتصرفات امها المسيطرة.

وفجأة خطر لروبي ان تتأملها الآن بامعان وبدت مندهشة الى حدّ ما من جمال اليكس الريّان. ثم سألتها مفكرة:

ـ لم لا تخرجين مع مارتن جونز زميلك في المكتب؟ انه يلاحقك باستمرار وقد تجدين في رفقته تغييراً مريحاً من الرتابة.

ـ لا احسبني اميل الى مارتن، او الى حدّ يدفعني الى الخروج معه. هل يهم كيف امضي اوقات فراغي؟

فردت روبي بصراحتها المعهودة:

ـ كلا، لا يهمني شخصياً. في اي حال قد اترك هذه الشقة قريباً لأنني اخذت كفايتي من ملبورن.

ثم اضافت تعلق بغموض:

ـ انها من بعض النواحي لا تقل سوءاً عن البيت! بعد انتهاء اجازتي قد انتقل الى سيدني لفترة من الزمن.

استوعبت اليكس كلامها على مهل... اذا غادرت المدينة كما تقول فسوف تتخلى عن الشقة وهذا يعني اضطرار اليكس الى البحث عن مكان آخر لسكنها، ولا يمكنها ان تجد شقة كهذه بايجار زهيد كالذي تشارك في دفعه... وسألتها بشيء من القلق:

ـ ماذا سيقول اخوك اذا تركت ملبورن؟

فردت روبي بتذمر غامض المعنى:

ـ الشيء نفسه الذي سيقوله ان لم اغادر المدينة. انني اميل الى الرجل الذي اصادقه في الوقت الحاضر لكني اعلم جيداً أن تشيس لن يقبل به.

احست اليكس فجأة بحاجة روبي الى الملاطفة فاستوضحتها قائلة:

ـ بالطبع لن يمكنك التأكد من ذلك الاّ بعد ان يتعارفا؟ ثم ما الذي يحدوك الى اعلام اخيك؟ انه، من خلال حديثك عنه، يبدو رجلاً كثير المشاغل والاهتمامات ولا احسبه سيجد وقتاً للاهتمام الزائد بما تفعله اخته.

ـ انت لا تعرفين تشيس الذي يهتم بمعرفة ما يفعله اصغر موظفيه واقلهم شأناً، فكيف بالنسبة الى شقيقته الغالية التي يعتبرها قطعة حلوى؟

أعجبت اليكس بمقدرة روبي على التعبير الدقيق واجابتها مداعبة:

ـ اذن لا تدعيه يلتهمك. ان كنت لا تملكين القوة على مقاومته واذا كان هذا الرجل مهماً بالنسبة اليك فاستعملي ذكاءك وانا اكيدة من وفرته.

ـ ان غرور تشيس يعادل ذكاءه يا عزيزتي. هكذا كان جدّي وهكذا هي عمتي هارييت، لكن تشيس اسوأ من كليهما حسب اعتقادي، فمن رابع المستحيل ان يحاربه المرء في عقر داره ومواجهته تعني الهزيمة الحتمية بالنسبة الي.

ـ اذن حاربيه من وراء ظهره.

أطلقت اليكس هذه النصيحة بتسرّع وعفوية ولو انها فكرت قليلاً لادركت انه من المستحيل على روبي ان تتغلّب على قوة اخيها القاهرة بهذه الاساليب المخادعة، ولامتنعت بالتالي عن الادلاء بنصيحتها بطريقة جدية. كانت مدفوعة في الواقع برغبة عفوية في مساعدة روبي ولم تقصد بتاتاً أن تحرّضها على التحدي، فهي تدرك من خلال تجربتها الشخصية معنى الوقوع في شرك الطموحات العائلية. انما من المستحيل ان تعترف روبي بسلطة عليا كهذه بالنسبة الى شخصيتها المتطورة وبلوغها السادسة والعشرين من عمرها. واجابتها روبي هازئة من نصيحتها:

ـ يا طفلتي العزيزة، ثقي أن لا احد يستطيع التغلّب على شقيقي. لقد كدت اموت من مجرد الهرب الى هنا. صحيح اني اعتبرته انتصاراً كبيراً الاّ انه كان في الواقع انتصاراً خاوياً، لان اخي سمح لي بترك البيت من تلقاء نفسه، وليس من عادته ان يتصرف هكذا.

ـ لماذا سمح لك هذه المرة؟

اجابت روبي وهي غافلة عن رؤية الشك في نظرات اليكس:

ـ لست متأكدة. ربما اتضح له بأنني لم اعد اطيق الوضع الخانق الذي زجني فيه. انه يريدني ان اتجاوب مع جار لنا ويبدو مقتنعاً ان فرص الزواج تتضاءل بعد بلوغ الفتاة سن السادسة والعشرين. لكن لدي آرائي الخاصة حول هذا الموضوع كما سيكتشف في القريب العاجل!

ـ قد تكونين مخطئة في اعتقادك، اذ كيف يوافق على سكنك هنا لو كان مصراً بالفعل على تزويجك الآن؟

اجابت روبي بنزق:

ـ قلت لك، لست متأكدة! ربما حسب انه يستطيع مراقبة تصرفاتي هنا

www.liilas.com ريما

ايضاً. لا بد من وجود سبب لكنني لم ابذل جهداً لمعرفته. اني اتقبل ما يتيحه لي بدون ان اتساءل عن الاسباب.

- لكنك قلت انه سيلمّ بكل ما تفعلين؟

- قد يفعل، لكني لم اره منذ عدّة اسابيع، ولدي سبب يحملني على الاعتقاد بانه مشغول في مكان بعيد وهذا هو التعليل الوحيد.

سالت اليكس بفضول:

- مشغول؟

- مع صبية سمراء جذابة تعرف كيف تتمنّع عليه لحين تحصل منه على ما تريد من الاشياء الثمينة.

هذا التهكّم الساخر اصاب اليكس بخيبة وبصدمة خفيفة. كذلك صدمها تشيس مارشال. ثم احست بشعور يشدها الى عائلة مارشال بقبضة فضولية ويجعلها تسأل بدهشة:

- هل من عادة اخيك ان يسمح لصديقاته بجره الى هذا الحد؟

- ليس دائماً. هذه المرة ذهب الى اميركا في رحلة عمل ايضاً. انه عادة لا يبذل ادنى مجهود للحصول على مبتغياته فالنساء انفسهن ينجذبن بقوة الى شكله وثروته، لكنه بصورة عامة لا يتأثر عاطفياً بهذه العلاقات.

- لا يتأثر بها ابداً؟

وعادت روبي تقول بلا اكتراث:

- اوه، بعضها يدوم بضعة اشهر، وعلاقاته، على العموم، قصيرة الأمد. انه يفقد اهتمامه بسرعة وسهولة وأرجّح انه لم يتزوج لهذا السبب.

لم ترق هذه الصورة لاليكس فسألت وهي تبتسم بخبث:

- ربما احب مرة ورفضت تلك الفتاة ان تتزوجه؟

هزت رأسها روبي مجيبة:

- لا نذكر اننا رأينا عليه سيماء القلق في اي وقت ولا بدا ابداً انه محطم القلب. ثم لو ان شيئاً من هذا القبيل قد حدث لعلمنا به حتماً.

- قد يكون استطاع اخفاء الحقيقة عنكم؟

فأجابت روبي بقناعة تامة اذهلت اليكس:

- تشيس لا يدع احداً يحطم قلبه ولا يعطي فرصة لاية امرأة بأن تذلّه، وهو في كل علاقاته يفرض مشيئته على النساء بلا استثناء.

ثم نهضت واقفة وأردفت متنهدة:

- اني اعرف اخي اكثر مما تعرفينه يا اليكس ولا سيما انك لم تتعرفي اليه بعد.

استبعدت اليكس حصول اللقاء، وحتى لو حصل يوماً فانه لن يلحظ وجودها على الارجح لكونه من النوع الذي تفوق خبرته فتاة مثلها. اقنعت اليكس نفسها بهذه الحجة وقالت تعلق بجفاف:

- انك تحيطين اخاك باطار معتم يا روبي وتعطين انطباعاً بانه ليس انساناً جيداً على الاطلاق.

- أجل، انه ليس كذلك.

ثم اردفت بشيء من الفخر اللاواعي:

- لا اظن ان هناك رجالاً كثيرين على غراره، لكن في مقدوره ان يحطم من يقاومه ويسعى الى النيل منه.

- ألسنا كلنا قادرين على ذلك؟

عقدت روبي ايشارباً حول شعرها المصفف بجمال لتحميه من الريح في الخارج وقالت:

- لك ان تسخري يا اليكس لكن الموضوع ليس مجرد دعابة بالنسبة الي. انت لا يمكنك ان تتصوري مبلغ معاناتي من جراء مقاومتي المستمرة لمحاولات تزويجي بالقوة.

كيف لها ان تجيبها بدون ان تفضح معاناتها الخاصة في هذا المجال؟

- لو وجدت نفسي في هذا الوضع وكنت أميل كثيراً الى هذا العريس لما تضايقت منه الى هذا الحد.

فأقرت روبي بقولها:

- اوه، هنري انسان طيب لكنه يخلو من كل اثارة وزواجي منه لن يعدو كونه مجرد انتقال من مزرعة مضجرة الى اخرى. ليست لديك فكرة كم تصبح الحياة موحشة في المزارع النائية الا اذا كنت تحبين العزلة بطبيعتك. انا...

رن جرس الباب فقطعت روبي عبارتها وبدت مرتاحة لتلك المقاطعة. ثم عبست فجأة كما لو انها تخشى عاقبة بوحها بالاسرار وقالت وهي تخرج بسرعة:

www.liilas.com ريما

- الى اللقاء.

لم تضيع اليكس الوقت وانصرفت فوراً الى غسل شعرها، مصارحات روبي أحدثت فيها اضطراباً مع انها تعلم جيداً ان روبي سوف تندم عليها قبل طلوع الفجر. يا لها من فتاة غريبة تشكل مزيجاً من الشخصيات المتناقضة. لا شك انها تعاني مشكلة حادة مع أخيها، انما لا تدري كيف تساعدها. وفي الوقت نفسه داخل اليكس شعور بأن روبي قد تكون اكثر قدرة على مساعدة نفسها بنفسها. كانت قد انتهت لتوها من تجفيف شعرها وتسريحه عندما رن جرس الباب ثانية. هل نسيت روبي شيئاً كعادتها، ام انّ القادم صديق آخر من اصدقائها العديدين؟ انها احياناً تضرب مواعيد لا تلبث ان تنساها وتترك لاليكس مهمة تهدئة الخواطر المنجرحة بدون ان تشكرها على عملها في ما بعد. حاولت بسرعة ان تحافظ على مظهر محتشم فاحكمت عقد حزام الروب حول خصرها وهرولت الى الباب بدون ان تفطن الى انّ هذا الشد قد ابرز انوثتها.

اختفت البسمة الخفيفة على شفتيها حين فتحت الباب لرجل غريب كلياً! طوله يزيد عن ستة اقدام، كتفاه عريضتان انما تخلوان من السمنة وتبدوان عضليتين وخشنتين، شعره كث اسود، انفه مستقيم، ذقنه تزينها غمازة عميقة وعيناه رماديتان بدا لونهما يدكن ويخف وهو ينظر اليها من تحت حاجبين متعاليين. الاّ انها شعرت فوراً ان قوته تكمن في شخصيته. ام ان فمه هو مبعث جاذبيته؟ راحت افكارها المتسائلة تتلاطم بجنون. لم ترَ في حياتها فماً ينم عن قوة وعناد كهذا الفم. وتراجعت الى الوراء منكمشة.

- مساء الخير.

حيته باختناق وهي تحاول ان توحي اليه بأنه قد اخطأ في العنوان، فما الذي يأتي برجل مثله الى هنا؟ رد لها التحية بجفاف ومضى يتفحصها بامعان كما فعلت هي. لم يظهر أية دلالة على اعجابه بقوامها النحيل أو على استحسانه لحقيقة ان رأسها بالكاد يصل الى كتفيه. وهنا قررت اليكس ان صوته هو احلى شيء فيه لكنها سرعان ما اصيبت برعدة خفيفة حين سألها بفتور:

- هل انا مصيب في ظني بأن الآنسة مارشال تقطن هنا؟ الآنسة روبي مارشال شقيقتي؟ كان يجب ان تعرف! توردت وجنتاها قليلا وكادت ان

تهتف:

- يا للصدف! كنا نتحدث عنك قبل لحظات!

ولحسن حظها لم تفعل لانه من الخطر ان ترفع الكلفة مع رجل كهذا. وقالت بصوت وجل:

- انا... من الافضل ان تدخل يا سيد... مارشال... روبي ليست هنا الآن.

بدا كلامها غير متزن فعبق خداها بحمرة قانية لفتت انتباهه ثم شعرت بالخزي حين سمعت نفسها تتلعثم من جديد كتلميذة مدرسة:

- انا... ربما تفضل حضرتك ان تعود مرة ثانية لتراها؟

- بالطبع سافعل.

سار الى داخل الشقة وفي عينيه نظرة متلذذة بارتباكها الواضح ثم اردف:

- هل تراك تخفين شيئاً لا تريدينني ان اراه، رجلاً ربما؟

أغلقت الباب بسرعة وهي تحمد القدر على ارساله في تلك الساعة بالذات، واجابته:

- لو كان معي رجل يا سيد مارشال لما وجدت حاجة الى اخفائه. اوه!

أدركت فجأة ما يرمي اليه فحدجته بغضب متقد وهو يحدّق الى الروب الذي يبرز مفاتنها بطريقة ايحائية تقريباً، وشعرت كما لو انها تتجاوب باندفاع اعمى مع هذا الغريب لكنها استعانت بما تبقى لديها من تعقل وقالت بحنق:

- لا احسبك تتصوّر اني اخفي شخصاً في غرفة نومي؟

- سوف استوضح الامر فوراً!

تجاهل نظرتها الثائرة وعبر البهو الصغير ليفتح بابين على اتساعهما وليسأل:

- هذه غرفة روبي؟ وتلك غرفتك؟

ولما اومأت بالايجاب لعدم استطاعتها النطق، مضى يفتح سائر الابواب كطوربيد بشري مدمر، وهو يقول باطراء:

- المطبخ، الحمام وغرفة الجلوس. حسناً، ليس لديك رجل الاّ اذا كان صديقك يختبىء على السطح.

www.liilas.com ريما

أحست بغيظ جامح يدفعها الى الانفجار فهتفت بغضب مشتعل:

- سيد مارشال! اني اسكن هذه الشقة مع اختك وليس مع نصف دزينة من الرجال. انها تسمح لي بالبقاء مقابل ايجار زهيد وانا ممتنة لها جداً لكنني لست مضطرة الى تحمل الاهانات من اهلها!

لم يتأثر بتاتاً بغضبها وقال بخشونة:

- لم اكمل ما اود قوله! قد لا تعجبك طريقتي في تسيير الامور لكنني املك كل الحق في معرفة ما يجري! انا الذي يدفع ايجار الشقة ومن حقي اذن ان اطرح الاسئلة التي اريد.

توقف قليلا ثم تابع وعيناه تبرقان:

- لا علم لي بالترتيبات القائمة بينك وبين روبي، لكنني اعلم تماماً انها كانت تتشارك السكن مع امرأة متوسطة العمر عندما زرتها في المرة الاخيرة. انا شخصياً رتبت امر ذلك السكن لأنني اشعر بمسؤوليتي تجاه شقيقتي. فهل لك ان تخبريني ما حل بتلك السيدة الاخرى؟

فشهقت اليكس قائلة:

- اسمي لاثام...

كانت ترتعد غضباً من طريقته الفجة في مخاطبتها والتي لم يستعملها معها مطلق شخص من قبل. ان روبي لم تبالغ في وصفها له!

وأردفت بالحنق اياه:

- لا بد انك تقصد ليليان بك التي رحلت قبل مجيئي؟

- اقصدها بالضبط.

كم كرهت اليكس شعورها بانه يسيطر على الموقف بتفوق رهيب فيما تتعثر هي باجوبتها خشية ان تقول شيئاً لا تريدها روبي ان تقوله. وردت بصدق:

- علمت ان الآنسة بك قد التقت رجلاً وتزوجته في غضون اسبوع ثم انتقلت للسكن في غربي اوستراليا، في مكان لا يبعد كثيراً عن مدينة بيرث.

فقال بتهكم واضح:

- غرام ضربها كالصاعقة؟

- يبدو انك لا تؤمن بشيء كهذا؟

- مطلقاً.

ثم تابع بصوت اقل وحشية:

- لماذا لم تعلمني اختي بما حصل؟

- ليست لدي اية فكرة.

ثم ابتسمت متعمدة اثارة اعصابه واردفت تسأله:

- هل يجب ان تعلم بكل شيء يا سيد مارشال؟ لا اظن ان روبي كانت تعرف مكانك.

- انها تعرف كيفية الاتصال بي. اما الآنسة بك فلدي ما اقوله لها عندما اراها ثانية. انت اصغر سناً من ان تستطيعي القيام بالمهمة التي ائتمنتها عليها، وكان على روبي ان تعرف هذا.

- لست متأكدة مما يدور في خلدك لكنني في التاسعة عشرة من عمري.

- أحقاً؟

تألقت عيناه الجليديتان وكادت نظرته المتفحصة تجرف بشرة خديها الممتلئين الناعمين كالحرير ثم قال:

- هل من المفروض ان اقتنع بنضجك؟

خشيت ان تخونها اعصابها اذا تكلمت ولذا اكتفت بهز رأسها كجواب على تعليقه المغيظ. اما هو فاظهر برودا تاماً حين سألها مجدداً:

- هل تعرفين متى سترجع روبي؟

- انها... لا تتأخر كثيراً بصورة عامة. ولكن قد يكون من الافضل ان تأتي غداً لرؤيتها.

هل يعتزم البقاء في انتظار روبي؟ كيف ستسليه في هذه الحال؟ خفق قلبها خوفاً من العواقب فكليهما يعلم ان روبي قد لا تعود قبل الفجر. قال بحزم:

- لا يسعني تأجيل رؤيتها ليوم غد حيث اكون رحلت. هناك اشياء مهمة يجب ان اعلمها بها.

ماذا عساها تفعل ما دام هو الذي يدفع الايجار؟ قالت تدعوه بصوت بارد:

- اذن تفضل، فالبيت بيتك.

- ليس في صوتك ما يدل على الترحيب يا آنسة لاثام. بامكانك ان

www.liilas.com ريما

تضفي عليه شيئا من الدفء.

فعادت تبتسم بعذوبة وهي تقول:

- من المؤكد ان عدم ترحيبي لن يسبب لك السهد يا سيد مارشال. لم لا تنسى وجودي كلياً ما دامت روبي هي المعنية في زيارتك؟

سألها فجأة:

- هل لديك شراب؟

واضاف بتهكم لاذع:

- اني احتاج الى شيء يساعدني على التفكير.

- هل أنت منزعج بسببي؟

فردد مغمغماً:

- جمالك وحده يمنعني من ضربك كطفلة شقية. حين تتعلّمين الابتسام للرجل بدل اثارته بلسانك اللاذع قد تتوصلين الى نتائج أفضل.

لم تتأكد تماماً من قصده انما شعرت بالخجل من نفسها وعجزت عن فهم السر في قدرته على جعلها تتصرّف بشكل خارج كلياً عن طبيعتها. ليس هناك سبب يمنعها من التحدث كغريبين مهذبين، قالت بصوت الطف:

- آسفة. سآتيك بشراب.

استدار ينظر اليها باهتمام وقال:

- اذهبي وارتدي ثياباً مناسبة كي اصطحبك الى العشاء. قد يكون خروجنا اسهل علينا من البقاء هنا.

وتساءلت، هل يتكلم دائماً بالالغاز؟ ثم ما بالها لا تناقشه بتاتاً؟ يجب ان تعترض. يجب ان تقول شيئاً:

- بامكاني ان اهيء لك عشاء بسيطاً. لا حاجة لأن...

فقاطعها:

- اوافقك تماماً، لكنني لم اوجه اليك الدعوة من باب الشفقة او لأنك تبدين بحاجة الى وجبة مغذية. بل لأنني جائع واشعر برغبة في الخروج.

- اذن، لست مضطراً لاصطحابي معك.

تجاهل تشيس جوابها وحدق اليها بوجوم فادركت انه من الخير لها ان تكف عن معارضته. دخلت غرفتها لترتدي ثيابها واحست نفسها ترتعد. استعرضت محتويات خزانتها واختارت فستاناً ازرق من الحرير. ارتدته

ومع ذلك تساءلت لماذا اخفق هذا الرداء الرزين ذو الياقة العالية في نيل رضاها هذه الليلة؟

بالطبع انها لم تلتق من قبل رجلاً على غرار تشيس مارشال. شعرت بشيء من العصبية لمجرد التفكير فيه. انه يملك صفات تسلطية تأديبية من شأنها ان تثير الذعر في قلب فتاة اكبر منها بسنوات عديدة. ان روبي لم تبالغ في وصف غروره الفائق والذي جعلها ترهب الخروج معه.

التزم الصمت تقريباً والى ان جلسا في مطعم في ضاحية ساوث يارا.

كانت اليكس قد سمعت بأنه يعتبر من ارقى مطاعم ملبورن لتميزه بالهدوء والراحة وبجودة طعامه. بدا تشيس مارشال معروفاً تماماً هناك اذ لاحظت كيف دبت الحياة بين مستخدمي المطعم لدى دخولهما وكيف اخذوا يتراكضون الى خدمته كلما حرك اصبعاً.

عندما خرجت من غرفة نومها وهي ترتدي دثاراً من الفراء الكريم حول كتفيها القى عليها نظرة تقييمية سريعة لم تخل من لمحة اعجاب معينة. ماذا كان يتوقع يا ترى؟

بعد ان طلب العشاء استدار اليها وفاجأها بقوله:

- يخيل اليّ انك صغيرة السن وبريئة جداً. انك لا تليقين بتاتاً للمهمة التي تأخذينها على عاتقك.

تفحص محياها ثانية واردف:

- تبدين في السابعة عشرة من عمرك.

لم يعجبها ان يقيّمها ويحكم عليها بكل هذا الاستخفاف فردت عليه بصراحة مماثلة:

- ان كنت ابدو اصغر من عمري بسنتين فلا احسبني قادرة على القول ان الشيء نفسه ينطبق عليك.

ثم تقصدت ان تجوّل بصرها المركز في الخطوط المحفورة في وجهه الوسيم، الخطوط العميقة في جبينه العريض الدال على ذكاء واضافت:

- انك تبدو اكبر سناً.

- مما يدل على انك تعرفين عمري بالتحديد؟

- من خلال حديث اختك عنك، علمت انك في السادسة والثلاثين او اكبر بعام. اذن لست متقدماً كثيراً في السن.

www.liilas.com ريما

ـ ان عمري لم يشكل لي اية اعاقة لغاية اليوم يا آنسة لاثام، ولو كنت امرأة لاختلف الامر بالطبع. اذن انت في التاسعة عشرة وتقتربين من حدود العشرين؟

ـ كلا. لقد انهيت التاسعة عشرة قبل ايام.

هتف بهدوء انما بتأكيد:

ـ يا الهي! ما الذي جعل روبي تتصوّر انني سأوافق على ان تقوم طفلة مثلك بدور المرافقة؟

اتسعت عيناها الزرقاوان وسألته:

ـ وهل انت مضطر الى ايجاد مرافقة لاختك؟ هل تحتاج بالفعل الى حارسة؟

قال بشيء من الاستغراب:

ـ بالطبع تحتاج الى مرافقة. الآنسة بلك كانت ملائمة جداً لهذا العمل، بعكسك انت تماماً.

يبدو أنّ احتجاج تشيس يتعدّى قضية العمر الى امور اخرى، ولذا اجابته بحدة:

ـ ادرك انك كوّنت فكرة سطحية عن قدراتي، انما هل نسيت ان اختك في السادسة والعشرين من عمرها ممّا يجعل فكرة حراستها تبدو سخيفة ومستهجنة؟

ـ لم افعل ذلك من منطلق الحفاظ على التقاليد.

ـ اوه، فهمت. تقصد أنّ الآنسة بلك كان مطلوباً منها ان تتجسس وتزودك بالتقارير تباعاً.

قال بدون ان يطرف له جفن:

ـ صحيح، ان شئت استعمال هذا التعبير.

ـ هذا تصرف محط للكرامة في رأيي.

فقست عيناه الرماديتان وقال بصوت بارد:

ـ لو كنت مكانك لاحترست في الكلام يا آنسة لاثام. لقد تأكد لي انك تلقين الكلام جزافاً، لكنني أدرى منك بشقيقتي وبما هو الافضل لمصلحتها. وافقت على ارتباطات معينة قبل مجيئها الى هنا ولن اسمح لها بالتملص منها.

وفجأة فقدت اليكس اهتمامها بالموضوع اذ لم تجد سبباً يدعو الى تدخلها. قالت بلا اكتراث:

ـ حسناً، سترى اختك قريباً لتسوّي هذه المشاكل معها. في الواقع لا شأن لي بالموضوع.

ـ مع من خرجت هذه الليلة؟

تنهدت مستسلمة لهذا الرجل الذي لا يذعن لاحد على الاطلاق. اجابته بهدوء:

ـ خرجت برفقة رجل تعرفت اليه قبل بضعة اسابيع. لقد التقيته شخصياً وهو يدعى الكساندر يروان. من غريب الصدف ان اسمه الاول مثل اسمي تماماً انما على مذكر.

ـ وباي اسم يخاطبك الناس؟

ـ اليكس. تصغير لاسم الكساندرا.

ابتسم بوجوم وقال:

ـ فهمت... الامر يزداد تشويقاً. هل هي مولعة بهذا الرجل بحسب علمك؟

تذكرت اليكس قول روبي بان اخاها يسعى الى تزويجها. اذن يجب ان تحترس في الجواب وقالت بانزعاج:

ـ لست متأكدة من عواطفها تجاهه. اعلم فقط انها تميل اليه.

٢ ـ شعرك كزهر الربيع

عندما تكلم تشيس ثانية أصغت اليكس الى صوته الملح بشيء من الخوف :

ـ أتظنين الأمر جدي بالنسبة اليها ؟

ـ اسمع يا سيد مارشال أنا لا أعلم شيئاً عن مدى جدّيته . لقد تعرفت الى السيد بروان ، انه يبدو شاباً لطيفاً جداً وروبي تخرج معه . هذا كل ما اعرفه ، وأعتقد انه يتوجب علينا الانتقال الى موضوع آخر .

ـ سنفعل ذلك .

استغربت أن يوافقها بهذه السهولة ، وبدا مستعداً لتغيير الموضوع . الا أن ارتياحها لم يطل لأنه بدأ يركز حديثه عليها :

ـ هل عشت طويلاً في اوستراليا يا آنسة لاثام ؟

تطلعت اليه متسائلة فأردف ببسمة تهكمية :

ـ إن أقل اختلاف في اللكنة يكشف منشأ الناس .

هل تراه يدقق في هويتها وعائلتها ؟ اذن لن يأخذ منها أكثر من أجوبة عادية . قالت معترفة :

ـ منذ كنت في العاشرة من عمري .

ـ وما تزالين وردة انكليزية أصيلة . شعرك بلون زهور الربيع الانكليزية حين يبللها مطر الربيع الناعم ، بشرتك بلون الكريما المصبوغة بالورد . لكن زرقة عينيك أغمق من زرقة سمائكم . كان يجب أن أشبهك ببرعم وردة وليس بوردة متفتحة ؟

كان صوته جافاً لا يوحي بالاطراء فقررت ألاّ تشكره . ركزت اهتمامها على عجة البيض اللذيذة وأخذت تأكلها على مهل . لقد أدركت ما يرمي اليه لكنها رفضت الانجذاب الى الصنارة . سواء كانت بريئة كالبرعم أم لم تكن ، فهذا ليس من شأنه ، كما أنها ستفشل في مجاراة خبرته في أي ميدان يقرر اللعب فيه ، اذن الصمت هو ملاذها الوحيد . لم يزعجه سكوتها بل تابع يسأل باسترخاء :

ـ لماذا انفصلت عن أهلك في السكن ؟

ـ لأنهم يعيشون في سيدني .

ـ احقاً ؟ أعجب كيف سمحا لك بالابتعاد عن بصرهما ؟

ـ ليس كل الأهل يحبون التملك يا سيد مارشال .

ثم تذكرت امها فشحب وجهها حتى البياض . ضاقت عيناه وكأنه يريد أن يعرف سبب شحوبها ، فسألها مستفزاً :

ـ قد تقولين بعد قليل ان النساء لا يحتجن الى من يحميهن ويرعاهن .

شمخت بذقنها قليلا وردت :

ـ لن اجرأ على اخبارك أي شيء يا سيد مارشال اذ يبدو أن لك آراء خاصة تتشبث بها . ان المرأة العصرية . . .

توقفت لحظة لتستجمع أنفاسها فقاطعها بجرأة خشنة :

ـ لا اعتقد أن الأمر ينطبق عليك يا اليكس .

حدجته بنظرة متقدة وهي لا تدري لماذا جرحها كلامه في الصميم ، قالت بغضب :

ـ قد لا أكون بلغت مبلغ النساء بعد ، انما لا أظن اني افتقد الكثير مما أريد الوصول اليه . لقد قررت أن . . .

فقاطعها للمرة الثانية قائلاً :

ـ لو كان لدي الوقت الكافي لاستطعت أن اجعلك تعدلين عن قرارك بسرعة .

أخذت نبضاتها تتسابق بجنون بالرغم من كرهها لغروره وتسلطه وعنجهيته . حبذا لو يبتلي يوماً بامرأة تركعه على قدميه ! لكنها قالت له بعذوبة :

ـ اذن يجب أن اشكر الله لأنك لن تجد وقتاً لذلك .

رفع كأسه الى شفتيه وقال بنظرة ساخرة :

ـ سيكون من السهل ايجاد وقت لك يا اليكس لاثام . لو كنت أكبر سناً بقليل لفكرت في ذلك جدياً .

راقبت عينيه وهما تتحولان الى ألق فضي . قالت وشفتاها تنفرجان عن ابتسامة حلوة :

ـ لن أظل دائماً في التاسعة عشرة .

ـ لكن الهوة ستظل موجودة .

ـ اتقصد هوّة العمر ؟ أجل ، ستظل موجودة . اعتقد أن الفتيات في عمري يبعثن فيك الملل .

ركز بصره على فمها المرتجف ثم رفعه الى عينيها وأجاب :

ـ فقط عندما يتكلّمن مثلك . أخبريني ، ماذا يعمل والدك ؟

ـ انه عالم في الكيمياء الحيوية ويعمل لدى مؤسسة للأبحاث في سيدني .

ذكرت له اسمها فأومأ برأسه وقال :

ـ أعرفها . منذ متى بدأت العمل في ملبورن ؟

أخبرته بايجاز ثم قالت بعد أن سألته بجرأة عن خططه .

ـ تقول روبي انك تقضي معظم وقتك خارج البيت .

ـ اني أدير شركة كبرى يا اليكس لا مزرعة واحدة . لو كان الأمر كذلك لأصبحت الحياة أبسط بكثير مما هي عليه . لكنها ليست مكتظة بالعمل بالنسبة الى روبي وسائر عائلتي . هل أخبرتك ذلك يا ترى ؟

ـ هل يهمك الثراء الى هذا الحد ؟

ـ انه ما يزال أهم شيء في الحياة بالنسبة الى أناس كثيرين .

ـ اخبرتني روبي انك تحب الاشراف على المزرعة .

ـ اسمها كولايرا وأنا أحبها بحرارة لا تشاركني اياها شقيقتي . انها لا تستمتع الاّ بالترف الذي تؤمنه لها .

ـ لكن السهر على المزرعة هو الذي يضاعف انتاجها .

ـ بالطبع .

راح يحدق فيها متأملاً فيما بدا ذهنه منشغلاً بأمور أخرى ، وكأنه يفكر في أمرين مختلفين في الوقت نفسه ، مزرعته الغالية ومصالحه المهنية البعيدة عنها . ولسبب غامض شعرت اليكس انها تتلقى حصة كبيرة من اهتمامه اذ لن تستطيع مطلق امرأة أن تستحوذ عليه كلياً في يوم من الأيام .

بعد العشاء أعادها الى الشقة عبر شوارع المدينة المضاءة . كان يقود سيارة فارهة بدت أنها تخصه ، لكن حين سألته اليكس عن الوقت الذي استغرقه في الوصول الى ملبورن أجابها مبتسماً :

ـ انا اسافر بالجو اختصاراً للوقت والتعب . لدي شقتان واحدة في سيدني وأخرى هنا .

لم تستفسر عن عنوانه في سيدني وكانت تفكر في كلامه عندما وصلا الشقة . من الواضح أن ارتباطاته المهنية تضطره الى قضاء بعض الوقت في كلا المكانين ، انما سيدني مدينة كبيرة ومن المستبعد أن تلتقيه فيها عندما تعود اليها .

جلسا معاً ينتظران اياب روبي ثم احست اليكس بتوتر مفاجىء يتصاعد بينهما . عرضت أن تصنع القهوة فأومأ برأسه موافقاً ولما عادت بها تناول فنجانه ثم أخذ يرشفه ويحدق اليها بتركيز كما فعل في المطعم . تضايقت اليكس وشعرت وكأنها تشكل له لغزاً لا يعرف بالضبط كيف يفك رموزه ، فهذه أول مرة في حياتها تتعرّض لتفحص دقيق كهذا يجعل قلبها يتجاوب بغرابة ويخفق بجنون بين ضلوعها فأشاحت عنه لتخفي اضطرابها .

تنفست الصعداء عندما رجعت روبي باكراً . وحالما دخلت غمغمت اليكس بسرعة : تصبحين على خير . وتجاهلت نظرة الفتاة المندهشة والمستاءة من وجود أخيها .

وفيما هي داخل غرفتها سمعت روبي تقول أنها ستصنع لنفسها فنجاناً من الشاي ، ويبدو أن تشيس لحق بها الى المطبخ الصغير لأنها استطاعت أن تسمع حديثهما بمنتهى الوضوح . كان تشيس يسألها :

ـ روبي ، أين كنت ؟

تناهى الى اليكس صوت الماء يملأ الابريق ثم جواب روبي الوقح :

ـ كنت خارج الشقة . ما الذي يثير فيك كل هذا الاضطراب والغضب ؟

ـ لا شيء سوى اضطراري الى انتظارك ساعات طويلة وحيث تيبست أطرافي من الضجر !

أطلقت روبي ضحكة خبيثة وسألته :

ـ ألم تجد رفقة اليكس مسلية ؟

ـ كلا !

أحست اليكس ببرودة تغزو وجهها . نظرت في المرآة قبل اخفاء رأسها تحت الوسادة فاذا به أبيض كالقطن . لقد أثّر فيها تشيس مارشال بطريقة غريبة لكنها مالت اليه بشكل ما ، كذلك شعرت بانه اعجب بها أيضاً ، وشعرت بشيء في داخلها يمتد اليه بالرغم من تلك الحيرة التي كانت تتقاذفها . ومع ذلك كان يشكو الضجر طوال الوقت ! كم كانت حمقاء حين تصوّرت أن العكس هو الصحيح ! وعلى فرض أنه ملّ رفقتها بالفعل ، أما استطاع أن يخفي الأمر في نفسه ؟ هل كان عليه أن يخبر روبي ؟ لسعت الدموع عينيها وأحست انها تكرهه . لن تثق بمطلق رجل في المستقبل !

كادت أن تختنق فرفعت رأسها طلباً للهواء . كانا مستمرين في الحديث وسمعت تشيس يقول لأخته بصوت قاس :

ـ لقد كتبت الى ايزوبيل بيري وأخبرتها أنك ستذهبين في اجازتك مع شخص يدعى اليكس .

ـ اجل ، انها الفتاة التي تعشيت معها لتوك .

ـ لكنها ليست اليكس الذي قصدته . كما أن وقت اجازتها لم يحن بعد ، لقد سألتها . أنت خرجت الليلة مع رجل يدعى اليكساندر وينادى باليكس من باب الاختصار .

ـ من أخبرك ذلك ؟

ـ الآنسة لاثام .

ـ اوه ! يا للغبية الصغيرة !

ـ اعتقد انك أنت الغبية يا عزيزتي . فصديقتك ايزوبيل نقلت الخبر عبر الهاتف فانتشر في كل الشمال . هنري سمعه فجنّ جنونه .

ـ ايزوبيل بيري ! لقد وثقت بها !

وبدا صوت تشيس جافاً حين أجاب :

ـ لا أدري كيف وثقت بها وأنت تعلمين انها تلاحق هنري منذ سنوات .

ـ لكنها صديقتي الحميمة !

ـ أحقاً ؟

فاحتجت روبي قائلة :

ـ انا لست مخطوبة لهنري .

ـ اذن خير لك أن تتخذي قراراً لأنها قد تكون فرصتك الأخيرة . ان كنت عازمة على قضاء اجازتك مع اليكس لاثام فلماذا لا تعرف ذلك ؟

ـ لأنني لم أخبرها بعد .

فرد تشيس بصوت حازم :

ـ عظيم . عليك أن تخبريها غداً صباحاً ولا حاجة لايقاظها الآن . وحين تسألك عن مكان الرحلة قولي انكما ستذهبان الى كولابرا . سامر عليكما في اليس سبرينغز وآخذكما من هناك .

ـ لن أعود الى البيت !

ـ خير لك أن ترجعي فجميع الناس يعتقدون انك ستذهبين مع رجل الى باريير ريف ولذا عليك اصطحاب الآنسة لاثام معك لاقناع الناس ولا سيما هنري ـ بأن اليكس هي فتاة وليست رجلاً . إما أن تفعلي هذا أو تفقدي هنري . واذا انتهت علاقتكما تنتهين معها . لقد تحملت منك ما فاق طاقتي .

فقالت اخته بعصبية ساخرة :

ـ كيف ستحتمل وجود اليكس لاثام في المزرعة ؟ انها ليست من نوعية نسائك .

- ليست مثلهن لكنني لن أمكث هناك أكثر من يوم أو اثنين الى أن تستقري . لقد أضعت ما يكفي من الوقت بسببك .

عاد الى غرفة الجلوس فلم تستطع اليكس أن تسمعهما بوضوح وبعد فترة قصيرة غادر تشيس الشقة . لم تتوقع أن ترى روبي حتى الصباح التالي ولذا فوجئت حين أحستها تدخل الغرفة كالصاعقة . تظاهرت بأنها قد صحت لتوها من النوم فهبت بها روبي صارخة :

- ما الذي جعلك تحدثين تشيس بأمر اليكساندر ؟

- لقد سألني عنه ولم اعتقد ان الأمر سر يجب اخفاؤه .

رمقتها روبي بنفاد صبر وقالت :

- الآن علي أن أمضي اجازتي في كولابرا ، كذلك يريدك أن تذهبي أيضاً .

تظاهرت اليكس بالاستغراب الشديد وسألت :

- انا ؟ لماذا أنا بالتحديد ؟

- لأنني ، لفرط غبائي ، أفضيت لصديقة لي بأنني سأمضي اجازتي مع شخص يدعى اليكس . وهكذا يريدك تشيس أن ترافقيني الى كولابرا لتقنع الناس بأن اليكس هي أنت .

- أكنت تنوين بالفعل أن تمضي اجازتك مع اليكساندر ؟

فردت روبي بخفة :

- كنت افكر في ذلك . في أي حال ، ان هنري برت ، الجار الذي اخبرتك أن تشيس يريد تزويجي منه ، قد سمع الخبر واستشاط غضباً .

وفجأة داخل اليكس شك خفي بأن روبي تروق لها فكرة غضب هنري ! أزاحت شعرها عن جبينها وسألتها :

- هل تحبين جارك هذا ؟

بدت الحيرة على روبي وقالت عابسة :

- الا ترين أن هذا ما كنت أحاول اكتشافه ولهذا السبب كنت اخرج مع رجال آخرين لكن تشيس لن يعطيني الوقت الكافي .

عادت اهانات تشيس تجرح قلب اليكس فقالت وهي تبتسم بوجوم :

- لا أظن بأني سأتمكن من مرافقتك لأسباب عديدة أهمها أن موعد اجازتي لم يحن بعد ، وحتى لو استطعت الحصول على اجازة فلن أقضيها

معك انت . عفواً ، لا اقصد ان اكون وقحة لكنك لن ترغبي في وجودي معك كما لا يحق لأخيك اصدار أية اوامر لي .

في السادسة صباحاً استيقظت اليكس على صوت حديث في الشقة فقفزت من الفراش لتتحري الأمر فاذا بها ترى روبي تخاطب شخصاً على الهاتف . تراجعت الى خلف قبل أن تفطن الفتاة لوجودها وأخذت تسترق السمع كما فعلت في الليلة السابقة . سمعت الفتاة تقول بصوت خفيض :

- انها لن توافق يا تشيس . سأحاول اقناعها عندما تستيقظ لكني متأكدة بأنها لن تغير رأيها .

توقفت قليلاً ثم قالت :

- أجل ، أعرف أن جميع النساء في نظرك قابلات للاقناع ، لكنني لست رجلاً ولم يسبق لي أن استخدمت سحري للتأثير عليهن .

صمتت روبي مرة اخرى وقالت بعدها :

- بالطبع يمكنك أن تحاول . يا للفتاة المسكينة ساعة تقع بين يديك ! حسبتك ستتوجه مباشرة الى سيدني ؟ اجل ، سأخرج عند العاشرة واخلي لك الجو . مع السلامة يا تشيس .

كانت اليكس تتظاهر بالنوم عندما فتحت روبي الباب لتتأكد من ذلك . انسحبت بهدوء تاركة اياها تغلي كالمرجل ! اذن يعتقد تشيس مارشال انها سوف تمتثل لأمره حالما يطلب منها ذلك . حسناً عليه أن يفكر مرة ثانية لأنه لن يستطيع اقناعها بالذهاب الى كولابرا . لم يكن الأمر فقط انه اعترف بلا خجل بمللِه القاتل من صحبتها ، أو افتراضه المغرور بأن ما عليه الاّ أن يناديها لتهرع اليه راكضة ، بل كان هناك شعور غامض في داخلها يحذرها من مغبة الاقتراب منه .

كانت غاضبة انما شعرت باضطراب عاطفي محيّر يتدفق في كيانها كجدول هائج الأعماق . أحست كأن هناك عدواً مجهولاً يهاجمها ولما استنتجت في الأخير بأن تشيس قد حرّك شيئاً في أعماقها ، لم تقدر أن تصدق بأنه السبب في هذه المشاعر .

توقعت أن تتابع روبي محاولة اقناعها لكن الفتاة لم تقل شيئاً ، وغادرت الشقة في التاسعة والنصف لتحافظ على موعدها الاسبوعي ، كل صباح سبت ، مع مزين الشعر . ربما شعرت بأن كلامها سيعقد الأمور اكثر أو

ربما لم تعد راغبة في ذهاب اليكس الى المزرعة بعدما فكرت في أمرها ملياً .

أحجمت اليكس عن لبس ثيابها فتشيس يريد أن يفاجئها وستدعه يعتقد أنه قد نجح في ذلك . ثم طرأت لها خاطرة جديدة . . . لماذا لا تعقّد الأمور وتعذبه لبضع ساعات على الأقل ؟ الا يستحق أن يعاقب ؟ لماذا لا تجر هذا الرجل المغرور وراءها وتوهمه بأنها ساذجة بالفعل كما تصور ؟ لقد حظيت منه بعشاء فخم فلم لا تحظى بوجبة غداء ؟ اذا استعملت ذكاءها وسخرته لمصلحتها فقد تحصل على أشياء اكثر وبالتالي ستفرح بمراقبة وجهه اكثر حين ترفض طلبه في النهاية !

رن جرس الباب فخفق قلبها بعنف . أدركت لحظتها مدى رغبة تشيس في تزويج اخته من هنري ، والا ، لماذا يحمّل نفسه كل هذه المشقة ويصر على اقناع هنري بأن روبي لم تكن ذاهبة مع رجل آخر في اجازتها ؟ لقد ذهب الى أبعد من هذا اذ عدل عن مغادرة ملبورن في الصباح ليقنعها بالذهاب معها بالرغم من اعترافه المكشوف بأن رفقتها تبعث فيه الملل !

فتحت له الباب وأقرت فوراً بأنه شخصية نادرة ومميزة . فمع أنه كان يرتدي بنطلوناً عادياً وسترة بسيطة الا أنه بدا محاطاً بهالة من الثراء والسلطة أربكت أنفاسها وجعلتها تشك في قدرتها على مقاومته . لم تفطن الى تعابير وجهها التي تحولت ، ما بين لحظة وأخرى ، من التماسك والثقة الى خجل ولهفة .

حاولت جهدها أن تظهر استغرابها الشديد لمجيئه وهتفت :

- اوه ! لم أتوقع عودتك يا سيد مارشال . آسفة ، روبي خرجت لتصفف شعرها .

أهداها ابتسامة ساحرة رنحت قلبها وقال :

- لقد عدلت عن مغادرة المدينة هذا اليوم ، ولم آت لرؤية روبي .

- اذن جئت لتراني أنا .

حاولت أن تبدو ناضجة وخفيفة الروح فدخل الشقة برشاقة وأغلق الباب قائلاً بصراحة :

- اجل ، قصدت رؤيتك .

جوّل بصره في بنطلونها الضيق وبلوزتها القطنية الأضيق وأردف :

- لا أحسبك ستذهبين بدورك الى المزين ؟

- كلا . أنا أصفف شعري بنفسي .

- شعرك ساحر . أعجبني لونه مساء أمس . وهذا الصباح .

لمسه برقة وتابع :

- يبدو أجمل بكثير في ضوء الشمس .

- شكراً .

قال بصوت مهذب :

- اعتقد أنك رفضت دعوة روبي الى زيارة كولابرا ؟

لم تتوقع أن يفاتحها بالموضوع بهذه السرعة فترددت قليلاً ثم أرشدتها الغريزة الى أن تجيب برهبة :

- انها خطوة كبيرة بالنسبة الي يا سيد مارشال .

انتظرت أن يمطرها بوابل من المجادلات ولذا فوجئت حين قال بهدوء :

- يجب أن أذهب الى مدينة جيلونغ الساحلية وهي تبعد خمسين ميلاً فقط . ما رأيك أن تأتي معي ؟ سأزودك ببعض المعلومات عن كولابرا على الطريق . لا داعي لأن تبدلي ثيابك . سنبتاع طعاماً على الطريق ونتغدى على الشاطىء .

أحست برغبة في الضحك ، فكلاهما يشترك في لعبة الانتظار ذاتها انما من أجل هدفين مختلفين . وللمرة الثانية خطر لها أنه متلهف جداً الى تزويج اخته بدليل استعداده لتحمل رفقتها المضجرة ، أما بالنسبة اليها فهذا ما كانت تصبو اليه تماماً .

كادت ترضى بنصيحته وتذهب بالثياب التي ترتديها لكنها سرعان ما تذكرت دورها في اللعبة اذ يجب أن تجعله يدفع ثمن غداء فاخر وليس ثمن بضعة ساندويشات وزجاجة عصير ! هزت رأسها معترضة وتوسلته بعذوبة أن ينتظرها قليلاً ريثما تبدل ثيابها . دخلت غرفتها ووقفت تفكر . . . لماذا لا تجعله ينتظر نصف ساعة ؟ ان لم يرق له ذلك فليمض في حال سبيله .

وجدته في انتظارها حين عادت اليه في فستان ربيعي لم يستغرقها ارتداؤه سوى لحظات . كان يجلس مسترخياً على مقعد وثير يشرب شاياً ويقرأ جريدة اليوم السابق . علق وعيناه تحتويانها بتكاسل :

- تبدين ساحرة . لم يذهب انتظاري عبثاً .

- آسفة على تأخري .

لقد تأخرت عليه نصف ساعة وأكثر . لكنه نهض واقفاً بليونة وأجابها :

- لا بأس . قليل من الصبر واحصل في النهاية على ما أريد .

لم تدر سبباً لعنادها حين قالت باصرار :

- لكن ذلك نوع آخر من الانتظار .

- ربما .

- الم يرهقك الضجر ؟

- كلا .

رمقها بنظرة حادة أكدت لها أن سمعها لم يخنها ليلة أمس لكنه سرعان ما أردف بلطف واسترخاء :

- لقد تصرفت بحرية كما ترين واستمتعت بصنع الشاي وقراءة الجريدة حيث لفتني خبر غريب كنت أجهله .

كانت سيارته في انتظارهما وأحست بجسمها يتزلق باستمتاع على المقعد الوثير . جلست بعيداً عنه وهو يقود السيارة بسرعة حذرة عبر المناطق الصناعية والى القسم الغربي من المدينة في اتجاه اوتوستراد الأمراء . وشرح لها تشيس أن مدينة جيلونغ ، الواقعة على سواحل بورت فيليب باي ، هي معبر لمقاطعة فكتوريا الغربية ، ومعظم المنطقة بينها وبين ملبورن مزدهرة بالعمران . وخلف ألتونا حيث تقع القاعدة الجوية العسكرية في لافرتون انطلقا على الأوتوستراد الرئيسي ومنه الى بلدة ويريبي وهي مركز تسويقي لزراعة الخضار وانتاج الألبان والأجبان .

لم تكن اليكس قد زارت هذه المناطق من قبل ولذا أصغت الى شرح تشيس بلذة واهتمام لما أبداه من براعة في الوصف والتعليق . وصلا مدينة جيلونغ أو بالأحرى المرفأ المتواصل النشاط الذي ينقل البضائع المحلية ويصدر الى الخارج حوالي خمسة وعشرين بالمئة من القمح الاوسترالي . كذلك تقام فيه سوق سنوية لبيع الأصواف ، قال تشيس انه يحضرها عادة لكن معظم الأصواف تخرج من ملبورن . انتظرته اليكس في السيارة ريثما انهى زيارة لشركة تجارية ضخمة . لم يغب طويلاً ومع ذلك فرحت لرؤيته ثانية واستغربت شعورها هذا . سألها مبتسماً :

- هل اشتقت الي ؟

هزت رأسها بنفي كاذب وسألته بدورها :

- أتوقعت مني ذلك ؟ اننا بالكاد تعرفنا الى بعضنا بعضاً .

بدأ يعبس مشككاً ثم اختفى عبوسه وقال :

- أجل ، بالكاد . . . أليس كذلك ؟

أحست للحظة بتردده وبانزعاجه من شيء ما ، انما لا يعقل أن يكون شعورها صحيحاً بالنسبة الى رجل واضح الارادة مثله ومعتاد على تحقيق رغباته . ارتجفت داخلياً ولم تدر السبب .

رمقها بنظرة ثاقبة وقال منطلقاً بالسيارة :

- ما رأيك بتناول الغداء ؟ ألست جائعة ؟

استجمعت شجاعتها وقالت :

- نعم ، لكنني لا أشعر برغبة في افتراش الشاطىء .

- هل نفرت فجأة من الرمال أم مني أنا ؟

- بالطبع لا !

- لا عليك . ان فكرة الذهاب الى الشاطىء لم تكن مناسبة في أي حال ، فلا أحسبك جئت معك بثوب سباحة .

شعرت كتلميذة مدرسة وكرهته لهزئه بها . رق قلبه فأزاح بصره الساخر عنها وقال :

- حسناً . ربما في مرة ثانية . لنذهب الآن الى فندق .

جلست الى جانبه ساكنة وهو يشق طريقه بالسيارة بلا تردد أو اضاعة وقت ، هل تراه يتقرب الى الناس بالطريقة ذاتها ؟ بوسعه أن يكون متحجر القلب حين يشاء ، وهكذا عجزت عن خنق خوفها المتزايد .

اختار فندقاً قدم لهما غذاء لذيذاً وغالي الثمن كما تمنت . الا انها لم تشعر بذلك الانتصار الذي حسبت انها ستحصده . امطرها بأسئلة متنوعة حول عائلتها وأصدقائها وبدون أن يكرر أي سؤال طرحه عليها في الليلة السابقة .

- هل لديك صديق مفضل في سيدني ؟

أجابته بالنفي اذ لم تجد حاجة الى الكذب عليه ، فبعد انقضاء نهاية الاسبوع من المستبعد أن تراه ثانية . رفع حاجبيه بارتياب وقال :

- لا بد أنك تعرفين شباباً عديدين ما دمت على هذا القسط من الجمال .

- امي تحب اقامة الحفلات وحضورها ، وبالتالي نعرف عائلات كثيرة لها أبناء وبنات في سني وربما أكبر قليلاً . لكن ليس لدي صديق خاص .

فعلق بجفاف :

- لا داعي للاستعجال ما دمت في هذه السن .

ولأول مرة أحست نحوه بالامتنان والى أن وعت أنه يقصد روبي على الأرجح . لماذا اصراره على تزويج اخته بسرعة وهي ما تزال في السادسة والعشرين ؟ اجابته بخفة لظنها بأن جوابها قد يساعد روبي بطريقة غير مباشرة :

- لن افكر في الزواج لسنوات طويلة .

فرد وهما يستعدان للخروج :

- أو الى أن تلتقي رجلاً يجعلك تغيّرين رأيك ؟

بعد ذلك أصر أن يريها المدينة القديمة وأخذ يبين لها الأماكن والأبنية المثيرة للاهتمام . ثم ابتاع لها باقة جميلة من الورد الذهبي الفاتح وقدمها لها قائلاً :

- انها تناسب لون شعرك تماماً .

تقبلتها بوجه متورد فتعمق سروره وشعرت انه وجد في ارتباكها دليلاً على وقوعها في سحره العظيم وعلى قرب نجاحه في مهمة اقناعها . فاشتد تصميمها السابق على اذلاله فهتفت بفرح وهي تخفي أفكارها الحقيقية خلف ابتسامة عذبة :

- شكراً يا سيد مارشال !

أومأ باستحسان وطلب اليها أن تناديه تشيس فلم تستغرب ذلك وعادت تشكره بابتسامة اخرى وبنظرة رزينة جعلتاها تندهش قليلاً من محاولاتها كما أشعرتاها بشيء من الخجل . كذلك عجبت من عدم ارتيابه بشيء . انها لا تجيد التمثيل ووجدت صعوبة مستحيلة في مناداته باسمه الأول ، وفي الأخير قررت ألا تخاطبه بأي اسم وأملت أن لا يلحظ ذلك . عادا الى مليبورن في السادسة مساء ، وكانت تحمل ، اضافة الى الزهور ، علبة من الشوكولا الفخمة ، كدمة من المجلات الغالية وزجاجة كبيرة من العطر الثمين . خشيت من التفكير في سعرها وحين احتجت على غلائها بعفوية وسرعة اكتفى بالابتسام واقترح أن تتشاركها مع روبي .

بعد هذا الوابل من الهدايا القيّمة تملكها شعور بالذنب واستغربت عدم تطرقه الى موضوع المزرعة ، وحتى عندما وصلا الشقة لم يشر الى الموضوع بكلمة . أتراه غير فكره ؟ لا ، لا يعقل هذا ، فليس هناك رجل يصرف على فتاة بقدر ما صرف وبدون أن يهدف الى شيء بالمقابل .

بدأت تشك في ذكائها وبمقدرتها ثم سمعته يقول بلهجة استبدادية :

- لقد خاطبت روبي بالهاتف عندما كنت تصلحين زينتك في غرفة السيدات في المطعم . هذه الليلة ستتعشى معها ومع عدد من أصدقائها .

فاجأها كلامه فلاذت بالصمت . حدقت اليه مذهلة الوجه متوترة الأعصاب وقالت :

- لست متأكدة من استطاعتي قبول الدعوة .

تقلصت ملامح وجهه بغضب مكتوم وأيقنت ان السبب هو عدم تقبلها الدعوة بلهفة وفرح ، كما انبأها غضبه بوضوح تام انه ما يزال عازماً على اقناعها بزيارة مزرعته النائية وأن صبره بات على وشك النفاد . إن ترددها في مشاركته العشاء هذه الليلة بدا انه يضيف وقوداً الى خيبته المكتومة ولن تدهش اذا اشتعل غضبه كاللهب . ألم تحرقها هي أيضاً الرغبة في الانتقام وتحملها على بذل أقصى جهدها لاشعال هذه النار؟ عادت تقول :

- آسفة .

وراحت تبحث عن عذر مقبول تقدمه . فقال :

- لقد اخبرتني انه ليس لك صديق تهتمين به بصورة خاصة .

- ليس هذا السبب .

- ما هو اذن ؟

وضع يده على ذراعها فشعرت بقشعريرة تسري في جسمها النحيل . اذعرها هذا الاحساس وجعلها ترتجف . اقترب منها تشيس وكأنه واثق من عجزها عن الاستمرار في مقاومته . شد بصرها الى عينيه الدافئتين وقال برقة :

- لقد استمتعت بهذا اليوم ، اليس كذلك يا اليكس ؟

لم تجد داعياً للانكار فهي استطاعت بالرغم من توترها وحيرتها ان تستمتع برفقته بشكل ما . فقالت بصوت متقلص :

ـ اجل .

أرخى ذراعها وقال بنظرة مفكرة .

ـ اذن سأراك في ما بعد في حوالى الثامنة .

٣ ـ فراشة في القفص

حين صعد الى سيارته لوّح لها مودعاً وقال :

ـ ستذهبين الى الفندق مع روبي لكني سأرجعك الى البيت بنفسي .

عندما التقيا في ما بعد استقبلها بدفء ومودة وكأنهما لم يعرفا الخصام في أية لحظة من اللحظات . أحست بسحره المتدفق وبتأثيره على النساء الاخريات المدعوات الى العشاء . حمداً لله على أنها تعرف رأيه الحقيقي فيها ولولا ذلك لتهافتت عليه مثلما يفعلن . انها تضجره ! هذه الحقيقة التي اعترف بها ، دفعتها مجدداً الى الانتقام منه . فلما دعاها الى الرقص بعد العشاء تعمدت أن تقترب منه أكثر . كذلك ارغمت نفسها على الابتسام له بطريقة متمهلة مغرية قلدت بها نساء اخريات ، انما لم تستعملها مع أي رجل من قبل . أخذت ترقب النتائج بلهفة ، وداخلها انتصار ممزوج

بالرهبة حين اكفهرت عيناه وتقلصت ذراعاه حولها . سمعت أجراس تحذير ترن بوضوح في ذهنها لكنها تجاهلتها باحتقار .

بر تشيس بوعده وأرجعها بنفسه الى الشقة ، أما روبي فذهبت رأساً من المطعم الى منزل صديقة لها دعتها الى شرب القهوة ، لم يحضر اليكساندر حفلة العشاء وتساءلت اليكس ، هل يعني هذا بداية حملة تشيس ؟ قد تكون مخطئة في تصورها ، لكنها أخذت انطباعاً واضحاً بأنه حرص على افهام جميع المدعوين بأنها تُدعى اليكس وأنها شريكة روبي في الشقة . شكّت للمرة الثانية في استغلاله لها وشعرت بمزيج غريب من التعاسة والغضب . اما روبي فلم يبد عليها أي انزعاج بل أظهرت مرحاً ملحوظاً طوال السهرة .

أوقف تشيس السيارة واستدار اليها فتوقعت أن يسألها عن كولابرا لكنه لم يفعل . ولو كانت هي في ظروف اخرى لأنهت القضية وصارحته ، الاّ أن اهانته لم تتوقف عن ايلامها وبقيت مصممة على السكوت . اذا استمرت في اضاعة وقته الثمين فسوف يكون غضبه مضاعفاً في النهاية وهذا هو هدفها الرئيسي ، أن يتعلّم تشيس العظيم درساً ينحفر في ذاكرته . وحين سألها ان كانت مرتبطة بعمل ما في اليوم التالي استغربت هزة رأسها العفوية فسألها باسماً :

ـ اذن ما رأيك أن تقضيه معي يا اليكس ؟

تناول يدها ورفعها الى فمه فكادت أن تقفز اضطراباً من ملمس فمه الدافىء والقوي لكفّها . سرت فيها نار فجذبت يدها منه بصرخة مختنقة . وفجأة تذكرت بذعر دورها المزعوم فحاولت أن تبتسم وكانت لسوء الحظ ابتسامة خجولة مهتزة ومرتبكة ، الا أنها أحدثت في تشيس ارتياحاً غريباً واسترخى وجهه القاسي حين رفع رأسه ورأى عينيها تتسعان بعصبية . وهذه المرة كرر سؤاله بلطف أكبر ، فهمست لعجزها عن ضبط أنفاسها اللاهثة :

ـ كما تشاء .

قال باختصار :

ـ عظيم .

أتى في الصباح وقضيا طيلة النهار معاً . اصطحبها الى شاطىء منعزل

وجميل لم يشاركها فيه أحد . قال لها موضحاً :

ـ انه ليس في روعة بعض الشواطىء في جزر باريير ريف لكنه سيلبي حاجاتنا لبضع ساعات .

فاعترفت بأسى :

ـ لم أذهب مطلقاً الى باريير ريف .

رد مداعباً وهو يتأمل قوامها الفتي الجميل :

ـ سأعرفك اليه إن شئت .

تسلطت عليها نظرات تشيس البادية الاعجاب وجعلت قلبها يخفق منزعجاً . تمالكت ضعفها وأجابته منتقدة :

ـ أمرك عجيب يا سيد مارشال فالقانون الذي تسنه لأختك لا تسنه للفتيات الأخريات !

أجابها ضاحكاً :

ـ ما أسرعك الى اساءة فهمي يا آنسة لاثام . أنا لم اقترح فكرة منافية للآداب ، كل ما في الأمر اني فكرت في رحلة الى كولابرا ، القريبة نسبياً .

فقالت محاولة خنق أمله بلطافة :

ـ دائماً تفترض وصولي الى كولابرا في النهاية !

تنهد برماً وقد بدا واضحاً انه لا يريد أخذ كلامها على محمل الجد وقال :

ـ اليكس ، اننا نمارس لعبة صغيرة والى حد معين . لقد استمتعنا بها جداً لكن كلينا يدرك بأنك ستذهبين اليها .

اذن حانت لحظة المواجهة ! أحست بأسف حزين لأن بهجتها بالشاطىء وبانعزاليته الرائعة ستنتهي الآن كالحلم . ومع ذلك حاولت أن تراوغ فقالت بضعف وليس بتأكيد :

ـ آسفة ، لا يمكنني الذهاب .

ركز بصره في عينيها وقال محذراً :

ـ ستشعرين بأسف أكبر أن ضيّعت عليك رحلة كهذه . لا تخطئي يا اليكس فكولابرا مكان رائع .

أرهبها اتقاد الفخر في صوته فغطت عنقها بكفها لتخفي عروقه النابضة وقالت :

ـ لا جدال انها مزرعة رائعة ، لكنني لست اختك ولا يحق لك أن تصدر

الي أوامرك أو ارغامي على طاعتك عن طريق الابتزاز .

ـ اذن هناك طرق أخرى .

دنا منها بثقة فائقة الا انه لم يحاول لمسها فأدركت غريزياً أن هذا ليس مقصده انما كان يهددها ضمناً لمعرفته التامة بأن التهديد غالباً ما يوصل صاحبه الى ما يريد وخاصة حين يستخدمه مع فتاة بريئة مثلها ، لكنها خشيت أن تعجز عن مقاومته اذا حاول التمادي معها . استمر يتمعن فيها ويقرأ أفكارها أيضاً . كانت عيناه تلتمعان وهما تتأملان عينيها كيف اتسعتا بعاطفة متصاعدة حتى بدت زرقتها المتألقة وكأنها تفيض لتصبغ البياض حولها .

ـ اليكس ، لا احسبك مررت بتجربة حب أو بأية تجربة أخرى . انك تملكين من الجمال النائم ما يعجزني عن مقاومتك وعن اغرائك بالطرق المعهودة . ليس الآن .

أيقظتها تأملاته من البلادة التي كادت أن تغزوها وقالت بغضب :

ـ لو كنت من نوعية نسائك لما وجهت الي هذا الكلام ، ولما توانيت عن ابتزازي لتجعلني أوافق على الذهاب الى كولابرا ، أليس كذلك ؟

ثار فيه السخط فقبض على كتفيها وهتف وهو يغرز أصابعه في لحمها بلا شفقة :

ـ يا الهي ! انك تستحقين صفعة على هذا الكلام ! كنت المح فقط الى القول بأنه لو كانت معي امرأة اخرى ، لما امتنعت .

من حسن حظها أنها لم تعد مراهقة سخيفة لتنخدع بمناورات كهذه . نظرت اليه بعناد وقررت استخدام ورقتها الرابحة الكفيلة باسكاته ، فقالت :

ـ لقد نسيت يا سيد مارشال ان اجازتي لم يحن وقتها بعد . وهكذا ترى أنه لا يمكنني الذهاب حتى لو شئت ذلك .

ـ بالامكان تدبير اجازة ، فهذا الموسم مناسب لزيارة الشمال وحيث الطقس ادفأ من هنا .

ـ قد يكون الأمر كذلك لكنك لا تتوقع مني أن أتخلى عن عملي . من المحتمل أن أجد وظيفة اخرى بيد اني احب هذه جداً .

ـ هل احببتها بهذه السرعة ؟ في أي حال ، يمكنني أن أرتب لك اجازة .

ـ انت ؟

ـ اجل . كنت أفضل بالطبع لو أنك ذهبت من تلقاء نفسك الى رئيس دائرتك وتقبلت الاجازة التي كان سيمنحك اياها عن طيب خاطر ، بدل أن تعرفي مني الآن بأن الشركة تخصني .

ـ انك تدهشني !

اهتزت بالفعل للخبر ، حدّقت الى البحر بعناد لتخفي اضطرابها الشديد . كانت امواجه الزبدية تتكسر على الرمال البكر كما سيتكسر قلبها ان لم تحترس من هذا الرجل . سألته بوجوم :

ـ هل تنجح دائماً في تسيير حياة الناس بهذه السهولة ؟

ـ احياناً أعرف صالحهم اكثر مما يعرفونه .

ارغمت نفسها على النظر اليه وقالت :

ـ كروبي مثلاً ؟

ـ وأنت أيضاً .

ـ آسفة يا سيد مارشال . انك مهما حاولت أن تفعل فلن اوافق على الذهاب ، اضافة الى أن روبي ليست صديقة مقربة مني .

ـ بالرغم من مساعدتها لك ؟

بدا واضح الحنق فتساءلت كيف يمكنها أن تغضبه وتضجره في الوقت نفسه ؟ غرزت قدمها في الرمل واعترفت لنفسها بأنها غير متأكدة من سبب موقفها المتصلب . أليس تصرفها في مستوى عناده واصراره ؟ لكن ماذا تفعل بكرامتها التي تتحكم فيها بشكل غريب فلا تقدر أن تقاومها ؟ قالت له باستعلاء :

ـ كم مرة يجب أن أفهمك بأني لن أغيّر رأيي ؟ أنا ممتنة بالطبع لكل ما نويت فعله من أجل مصلحتي كذلك أنا ممتنة لمساعدة روبي .

وفجأة ازاح يديه عن كتفيها وقال ملوّحاً بهما في حركة لا مبالية :

ـ لننس الموضوع ، فأنا أرفض اضاعة يومين في مجادلة فتاة جميلة ، وقد تقررين المجيء الى كولابرا قريباً .

كان يحدجها بنظرة فاترة فشعرت بصغر سنها ولم تعرف كيف استطاعت أن تصمد أمامه لغاية الآن . هل كانت لتقدر على ذلك لو لم تسترق السمع الى عبارته المهينة تلك ؟ الآن أضاف اليها اهانة جديدة عززت تصميمها

على أن لا تدعه يتغلب عليها بجاذبيته الطاغية . لقد أعلن بثقة ان كلمة واحدة منه كفيلة بمنحها الاجازة المطلوبة . ألم يحن الوقت لأن يجد من يقول له « لا » ويتمسك برفضه ؟

سبحا في البحر وراعت طوال الوقت أن تبقى بعيدة عنه بالرغم من احساسها برغبة متزايدة في الاقتراب منه . وحين كان يقترب منها وأطرافه القوية تشق الأمواج بسهولة كان قلبها يتسارع في الخفقان فتبتعد عنه بشعور كاره للسخرية البادية في عينيه . بعد ذلك دعاها الى العشاء فاستغربت أن يزعج نفسه بدعوتها بعد الحديث الذي دار بينهما . واشتدت حيرتها عندما عارض عودتها الى الشقة كي تبدل ثيابها . وافقته بشيء من الارتياب ، وحاولت اقناع نفسها بأن مظهرها لا يهم انما أحست في قرارة نفسها بأنه مهم بالنسبة اليها على الأقل . اما هو ، ومهما كان نوع لباسه ، فيبدو دائماً ذا شخصية جذابة ومميزة ! من دواعي سرورها أنه سيغادر ملبورن هذا اليوم ، اذ قد تعجز عن مقاومته الى ما لا نهاية ولا سيما أن كرامتها تهيب بها صارخة أن تبتعد عنه في اسرع وقت . عادت كبرياؤها تقوي عزيمتها حين وصلا الشقة وانحنى عليها بغتة ليقول هامساً :

ـ يجب أن نودع بعضنا لكنني سررت بمعرفتك ، بل بدأت أشعر بأني سأفتقدك . ألا تظنين أنك ستشتاقين الي يا اليكس ؟

احنى وجهه بسرعة فأغضبتها وقاحته وهتفت :

ـ كلا !

لفحت أنفاسه فمها قبل أن تسقط شفتاه على خدها . كانت قبلة عفيفة كالتي يمنحها لعمته التي تعيش معها لكنها أدركت أنه قصد أن يلفتها الى مشاعر أخرى .

وفيما كان وجهه يحوم على محياها كريشة لا تود الابتعاد عنه ، أحست جسمه القوي يتصلب . بدا للحظة كما لو أنه اصيب بصاعقة ، ثم عانقها بحرارة مفاجئة وتولد لديها انطباع غائم بأنه كان يقاوم مشاعر لم يعرف لها من قبل مثيلاً ، وأن الدرس الذي عوّل على تلقينها اياه قد ارتد اليه بطريقة ضايقته كثيراً . تراجعت عنه مبهورة الأنفاس وتشابكت عيونهما للحظات طويلة غامضة ثم همست اليكس في الأخير :

ـ تصبح على خير يا تشيس . . . ووداعاً .

كادت أن تقذف بنفسها من السيارة لفرط انفعالها وزاد اضطرابها حين ودّعها بخشونة ساخرة وهي تصفق باب السيارة . وفي غرفة نومها طرحت نفسها على السرير ورأسها يدور كالمروحة . شعرت بشيء من الغثيان وبنبضات متسارعة تغزو عروقها جميعاً . حاولت أن تفسر ذلك كنتيجة لذعرها الا انها لم تجد مطلق عزاء من معرفتها بأن تشيس قادر على احداث هذا التأثير العميق فيها . لا يعقل أن تكون قد انجذبت اليه ، فكيف تنجذب الى رجل مثله ، يجوب البلاد من مكان الى آخر ويعامل النساء بهذه الطريقة العادية واللامبالية ؟ من الجنون أن تتمنى التعرف اليه أكثر ، وبحميمية أكبر . . . هكذا الح عليها صوت ماكر في داخلها وجعلها تقفز ارتياحاً حين رن جرس الهاتف .

لا يعقل أن يكون تشيس لأنه ما يزال في الطريق الى شقته ولذا رفعت السماعة بيد ثابتة نسبياً وذكرت رقم الشقة .

ـ اليكس ، حبيبتي ، أهذه أنت ؟

كانت أمها تحدثها . بعد بضع دقائق أعادت السماعة الى مهدها بيد مرتجفة وقد صعقها الخبر الذي تلقته . لقد أخبرتها امها أنها ستأتي الى ملبورن في نهاية الاسبوع مع صديقتها الانكليزية ، وأن دون فيشر سيأخذهما وسيمكث معها لبضعة ايام . وأضافت السيدة لاثام بصوت خفيض ومنتصر بأن دون سيأتي معه بأجمل خاتم رآته في حياتها ، وتابعت برضى بالغ :

ـ والده بات رجلاً مرموقاً في سيدني ، وقد أخبرني بنفسه أنه يوافق على زواجك من دون لأنه يريده أن يستقر ويؤسس عائلة . لن تجدي عريساً أفضل منه يا اليكس .

فهتفت اليكس مرتاعة :

ـ لكنني لن أستطيع الزواج من دون فيشر ، فأنا لا أحبه ، اضافة الى أسباب أخرى .

قالت امها بنبرة احتجاجية طالما استخدمتها في اجتماعات اللجان :

ـ هذا هراء يا حبيبتي ! سوف يساعدك دون على تغيير رأيك في القريب العاجل .

ـ لن اكون هنا .

فسألتها امها بصوت بارد :

ـ لن تكوني هناك ؟ لماذا بحق السماء ؟

حاولت اليكس جهدها أن ترد بهدوء :

ـ يجب . . . يجب أن أذهب الى الشمال في مهمة للشركة .

ـ الى الشمال ؟

ـ اجل ، انهم يحتاجون الى مساعدة اضافية في المكتب ، في احدى المزارع الكبرى هناك ، هذه الأمور تحدث احياناً كما تعلمين ولا يمكنني أن أرفض .

صمتت امها فجأة فضرعت الى الله بأن يغفر لها كذبتها ثم ابتهلت اليه أن يساعدها ، اذ أدركت لحظتها أنها أحرقت جسورها وعليها الآن أن تذهب الى كولابرا . اما اذا كان تشيس قد غير رأيه فقد تضطر الى التوسل اليه !

ثم سألتها امها بحرد وارتياب :

ـ أتعلمين كم ستمكثين هناك ؟

ـ ربما اسبوعين أو ثلاثة ، لست متأكدة . يمكنك أن تخابري المكتب في ملبورن إن شئت .

فقالت امها بامتعاض :

ـ حسناً . أظن انك لن تتغيبي طويلاً لكن دون سيزعل كثيراً . ساجعله يخابر مكتبك في أواخر الشهر ليسأل عن موعد عودتك . يجب أن تفكري جيداً في تقديم استقالتك وفي رجوعك الى البيت .

فغمغمت اليكس بطريقة جبانة :

ـ سأفكر في ذلك .

لم يكن من السهل عليها أن تخابر تشيس وتعلمه أنها غيّرت رأيها . كانت روبي قد دونت رقم هاتفه في دفتر صغير ، فجلست اليكس تحدّق به لوقت طويل قبل أن تؤاتيها الشجاعة على اجراء المخابرة . سوف يعتقد بطبيعة الحال أن تلك اللحظات القليلة التي قضتها بين ذراعيه قد جعلتها تراجع أفكارها . لقد لثم خدها فقط لكن لا بد أن خبرته الفائقة قد مكنته من قياس عمق تجاوبها ، وكل ما ترجوه الآن أن لا يكون توصل الى نتيجة من شأنها أن تغريه على محاولة اخرى . بدأت تدير قرص الهاتف وقلبها

يقفز بين ضلوعها .

ـ نعم ؟

أجاب باقتضاب أجفلها فابتلعت ريقها وقالت :

ـ انا اليكس لاثام يا سيد مارشال . لقد . . . قررت . . . أن أذهب الى كولابرا !

ران صمت قصير أوحى اليها بأن المفاجأة أذهلته لكن من المستحيل أن يندهش لأي شيء ! قال يعلق بجفاف :

ـ هذا تغيير مفاجىء . لماذا بدلت رأيك ؟

لم تشأ أن تخبره التفاصيل كي لا تورّط امها ودون فيشر . فكيف تفسر لرجل مثل تشيس مارشال تصرفات امها وماذا تقول له عن دون ؟ انه سيضحك ساخراً ، وهي ، احتراماً منها لكرامة ابيها ، لن تطيق هزئه بامها . . . انه الولاء المتأصل فيها تجاه أهلها والذي لا يمكنها تجاهله . ولذا حاولت يائسة أن تغطيه بقولها :

ـ لقد غيرت رأيي فجأة . أنا أفعل ذلك أحياناً . . .

ـ يلذّ لي أن أتعرف الى طباعك .

ـ امي كلمتني بالهاتف قبل قليل فأخبرتها بأنني سأذهب الى كولابرا .

ـ وهل اعتبرت الزيارة تحصيل حاصل ؟ أنسيت انك رفضت دعوتي قبل نصف ساعة ؟

ـ اذن انت لا تريدني ؟

ـ لم أقل ذلك .

توقف كما لو انه يحزم امراً ثم أردف :

ـ وجودك ضروري لتسوية امور روبي .

غصت اليكس بريقها من هول صراحته ، لكن الحذر أهاب بها الا تدع الفرصة تفوتها فأجابته :

ـ قلت بأنك تستطيع تدبير أمر الاجازة ؟

ـ اجل ، سأتدبر كل شيء . شكراً يا آنسة لاثام . سأتصل بك قريباً .

خيل اليها أنها لمست احتقاراً بسيطاً في صوته فأعادت السماعة بتمهل الى مكانها . من الواضح اعتقاده بأنها كانت تعتزم الذهاب مع روبي من الأساس لكنها تظاهرت بعكس ذلك كي تحصل منه على أقصى ما تستطيع

من مكاسب ! تمنت لو وجدت الجرأة لتخبره انها ما قررت الذهاب الى كولابرا الا لتتخلص من خطوبة ستفرض عليها فرضاً ، وبانها ما سمحت له بصرف المال عليها في عطلة الاسبوع الا لأنها سمعته يقول لأخته ان رفقتها تضجره حتى العظام ! ليتها تجاهلت عبارته تلك ! فلو أنها لم تخرج معه لما احتضنها بتلك الطريقة في السيارة ، ولن تلوم الا نفسها اذا استمر هذا الانجذاب وأحدث لها مشاكل أثناء اقامتها في المزرعة .

بعد ثلاثة ايام مفعمة بالاضطراب وجدت نفسها في كولابرا . لقد سافرت مع روبي جواً الى اليس سبرنغز حيث استقبلهما مدير المزرعة وحملهما الى كولابرا في طائرة تشيس الخاصة .

كانت اليكس ، كمعظم الأوستراليين ، معتادة على السفر الجوي المحلي لكنها لم تسافر قط في طائرة صغيرة كهذه . وحين غادروا اليس سبرنغز ، البلدة الشهيرة الواقعة في منتصف البلاد ، أحست بخوف ورهبة . نظرت روبي باستغراب الى عينيها المذعورتين وقالت لها بلطف :

ـ من الأفضل أن تسترخي والا لن تتغلبي على خوفك أبداً . هذه واحدة من عدة طائرات يملكها أخي فهو لا يسافر الا بطريق الجو .

أما اندرو بليك ، مدير أعمال المزرعة فقد ابتسم لها مشجعاً اذ شعر بالعصبية بعينيها الزرقاوين ، ويا لها من زرقة زاهية لم ير لها من قبل مثيلاً ! كان الاعجاب الصريح في عينيه كفيلاً ببث الثقة في مطلق فتاة عادية الجمال الا أنه دعمه بقوله :

ـ قد تموج الطائرة قليلاً بسبب الجيوب الهوائية ، لكن الأخطار اكثر لو سلكنا الطريق البرية تحتنا .

ـ آمل أن أتغلب على خوفي .

فرد متشدقاً :

ـ ستتغلبين عليه مع الوقت . شيئاً فشيئاً .

صدقته ، لكنها لم تخبره بأنها لا تملك وقتاً كثيراً . . . اسبوعان أو ثلاثة على الأكثر ، حسبما قالت روبي التي ما انفكت تظهر تذمرها من هذه العودة . وبالرغم من ذلك شعرت اليكس أن الفتاة تخفي سروراً معيناً تحت قناع تذمرها الملول ، اذ ضبطت في احدى المرات نظرة فرح راقصة في عينيها .

كان اندرو بليك في الثلاثينات من عمره وذا وجه مرح وسيم . التفتت اليه روبي وشرعت تحدثه قائلة :

ـ لا أدري لماذا يحمل تشيس نفسه كل هذه المشقة لاعادتي قسراً الى البيت . كنت سأذهب مع اليكس الى باريير ريف .

فأجاب اندرو :

ـ اننا لا نناقش اخاك يا روبي ، ولا بد أن لديه مبرراً لتصرفه .

ـ اما يزال في كولابرا ؟

ضحك الرجل وقال :

ـ وصل مساء أمس وكل ما يمكنني قوله أنه يتحدث عن بقائه فيها .

ـ ليس من عادته أن يمكث اكثر من يومين ، لا بد أنك اخطأت فهم كلامه .

أصغت اليكس الى الحوار بمشاعر متضاربة اذ كان اهتمامها موزعاً بين تشيس مارشال والمشهد تحتها . كم يبعد ذلك الأفق ؟ ركزت اليكس بصرها لتسبر حدوده فما توصلت الى نتيجة . لو كان تشيس معها لأخبرها ذلك ، فخلال رحلاتها خارج ملبورن زودها بكنز من المعلومات . . . عندما جاء الشقة ليعطيها التذاكر والتعليمات لم يمكث الا ساعة وبعد ذلك لم تره لثلاثة أيام . لا يعقل أنها اشتاقت اليه في هذه الفترة ؟

وفجأة ظهر تحتها قطيع من الماشية ومعهم رجال يمتطون الخيل ، فقال اندرو :

ـ هذه ماشية **ديتلو داونز** . ترى ، كم أخذوا من عندنا ؟

ـ الا تفعلون شيئاً لايقاف ذلك ؟ اقصد سرقة الآخرين لمواشيكم ؟

فأجابها مبتسماً وقد أدرك سوء فهمها :

ـ اوه ، لن أذهب الى حد القول بأن هؤلاء الرجال لصوص ! فلدينا اتفاقاتنا ومبادلاتنا الخاصة التي تؤمن النجاح والاكتفاء لجميع الأطراف المعنية . لم تعد الأمور كما كانت من قبل .

فعلقت روبي بجفاف :

ـ بعضها لم يتغير .

اغتاظت اليكس من عدم فهمها لهذا الحوار الذي يتبادلانه بمنتهى الوضوح ويظنانه عادياً جداً لا يحتاج الى تفسير . ولذا سرها أن تسمع

اندرو يهتف بفرح :
ـ هذه هي يا آنسة روبي ! كولابرا !
فعلقت روبي ببرود بأنها لم تغب عنها سوى أشهر معدودة لكن اليكس شهقت بانفعال حين وقع بصرها عليها من الجو وحيث بدت كحقل من القطر الانجليزي ينتشر هنا وهناك في اجمات بيضاء . بدأت الطائرة تهبط فرأت منزلاً كبيراً مسوراً بالأشجار وحوله ساحات وأبنية تتبعثر على مسافات متنوعة . ومن مجرد النظرة الأولى ، أحست شيئاً يقبض على أوتار قلبها ويهدد بأن لا يفلتها أبداً ، وكأن ذلك المكان ينتظر قدومها منذ ولادتها ويستعد الآن لاستقبالها بأذرع مفتوحة . ثم بذلت اليكس جهداً لتتحكم في مشاعرها فأسدلت أهدابها لتخفي بريق عينيها الفاضح وأخذت نفساً عميقاً .
حامت الطائرة ثم هبطت ببراعة ورشاقة على فسحة قريبة من المنزل وكأنما شعر اندرو بأنه يأتي بأناس عظماء وأراد أن يعطيهم أفضل انطباع عن مهارته . توقفت الطائرة نهائياً فسارعت روبي الى الوقوف لاعتيادها على السفر في الطائرات الصغيرة بمنتهى الراحة اما اليكس فأحست بارتجاف بسيط في ساقيها وهي تتلمس طريقها خلف روبي واندرو .
رمشت حين واجهتها أشعة الشمس القوية ثم رأت سيارة جيب صغيرة تتقدم بسرعة بقيادة تشيس . كانت تعلم أنه في المزرعة انما لم تتوقع أن يأتي الى مدرج المطار الصغير لاستقبالهم . هبط من السيارة فلحظت أنه يرتدي بنطلوناً من جلد الخلد مع قميص متعدد الألوان وقبعة واسعة الأطراف . بدا لها فوراً اكثر نفوذاً مما بدا في ملبورن وحيث الثياب اللاصقة بجسمه الفارع أضفت قوة على شخصيته النابضة بالحيوية .
ـ مساء الخير يا اليكس وأهلاً بك في كولابرا .
نظر الى بشرتها البضة متفحصاً ظلال الارهاق تحت عينيها وحبيبات العرق المتلمعة على جبينها العريض وفوق شفتها العليا المثيرة ، ثم تمعن في عينيها . ولفترة قصيرة من الزمن شعرت أنهما وحيدان على سطح الأرض .
لم تكن روبي معتادة على أن يتجاهلها أحد ، حتى شقيقها فقالت بصبر نافد :
ـ ان اليكس قادرة تماماً على العناية بنفسها يا تشيس . قد تبدو قابلة

للانكسار لكن ثق بأنها لا تنكسر .
استدار اليها تشيس وقال بحدة :
ـ كان بوسع مطلق غبي أن يراها وهي تكاد تسقط من الطائرة . هذا النوع من الطيران لا يعتاده المرء بسرعة .
مشت روبي بلا اكتراث الى سيارة الجيب تاركة اليكس تلحق بها منفردة فيما انصرف تشيس واندرو الى انزال الحقائب . اختارت روبي أن تجلس على المقعد الخلفي . ولم تعرف اليكس هل ارتاح تشيس لهذا الترتيب أم انزعج منه وذلك لخلو عينيه من أي تعبير . فمه فقط أوحى بغضب مؤقت حين جلس خلف المقود واستدار ليحدق اليها بتركيز . وصلا المنزل فاستقبلتهم الآنسة مارشال ، العمة التي تشرف على شؤونه بالنيابة عن تشيس . كانت في أواخر الستينات وما تزال بهية الطلعة مهيبة المظهر وذات وجه أنيس ينم عن اصالة خلقية وعزم . لحظت التعب على وجه اليكس المعبر فقالت لروبي على الفور :
ـ اصعدي مع الآنسة لاثام الى الغرفة الوردية التي هيأتها لها . سأطلب الى السيدة يونغ أن تقدم الشاي بعد نصف ساعة وهذا وقت كافٍ لكي تغتسلا وتبدلا ثيابكما .
اما تشيس فقد اختفى بعدما عرّف اليكس الى عمته لكن حين نزلت من الطابق العلوي بعد نصف ساعة وجدته مع الآنسة مارشال في غرفة الاستقبال التي قادتها اليها فتاة باسمة بدت انها من سكان اوستراليا الأصليين .
لوحت لها هارييت مارشال وقالت :
ـ تفضلي يا عزيزتي . أين روبي ؟
ـ لقد اعتذرت عن تناول الشاي .
جلست بشيء من العصبية على مقعد قريب وهي تحس حضور تشيس بشكل عنيف . وقالت الآنسة مارشيل تعلق باستياء على تغيب روبي :
ـ اغلب الظن انها تريد التهرب من اسئلتي .
ثم استدارت الى تشيس مستوضحة :
ـ هل اخبرتها أن هنري سيزورنا في وقت لاحق ؟
اجابها باقتضاب وعيناه على اليكس :

ـ لم افعل بعد .

كانت اليكس ترتدي فستاناً صيفياً ذا حمالتين على الكتفين يؤمن لها الانتعاش ، اختلجت شفتاه فتساءلت ، هل يهزأ من احتشامها ؟ نظرت اليه متحدية ثم أحمر وجهها وشعرت بالغباء حين واجهت نظرته الباردة المتفحصة . بالطبع ، انه لن يشعر بأي شيء تجاه فتاة تثير فيه الضجر !

٤ ـ المشاعر كالأراجيح

فاجأها تشيس بالسؤال :

ـ ما رأيك في المكان يا اليكس ؟

التفتت اليه بسرعة وتكوّن لديها انطباع غريب بأن جوابها يشكل أهمية بالنسبة اليه . كانت نظرته الثاقبة تخترقها وكأنه يبحث عن ردود فعل داخلية قد يوازن بينها وبين الجواب التقليدي الذي يتوقعه منها . ولذا ردت عليه بحذر :

ـ لم يتح لي الوقت الكافي لأكوّن رأياً .

ثم عجزت عن ضبط انفعالها فهتفت بعفوية :

ـ أظنه رائعاً ! لم أر له شبيهاً من قبل !

ـ أتقصدين البيت ؟

خفضت بصرها الى فنجان القهوة لتخفي خيبتها المفاجئة . من الطبيعي أن يعتقد أنها لم تر سوى البيت الذي يصعب وصفه . انه انيق مريح ويفوق بمراحل فخامة البيوت الثرية التي رأتها من قبل ، ومن شأنه أن يثير الدهشة والاعجاب حتى في نفس المرأة المعتادة على الرفاهية والثراء . اذن لن يتوقع تشيس من فتاة مثلها أن تلحظ أي شيء سواه .

اومأت وأجابت على سؤاله ببسمة خجولة :

ـ البيت جميل بالطبع لكنني لم أنتبه له عندما شاهدت كولابرا للمرة الأولى .

سألها ببرود مرح :

ـ أتقصدين أنك اعجبت بها من الجو ؟

ـ لك أن تقول ما تشاء .

ثم نظرت اليه بشيء من الامتياء وأردفت :

ـلا موجب لهزئك ! انك تستقبل زواراً كثيرين ولا أعتقد أنني أول زائرة انصعقت بشيء لا يفسر وهي تراه من الجو ، لكنني متأكدة أن كل فردوس ارضي لا يخلو من الشوائب .

اجابها برقة :

ـ لا تنظري اليّ وكأنني اكبر شائبة في هذا الفردوس يا اليكس . ان قلت انك وقعت في حب كولابرا من النظرة الأولى ، فذلك يفرحني بالطبع انما لا تدعي الانطباعات الأولى تجرفك ، فكولابرا شاسعة المساحات ولا يمكن التعرف اليها دفعة واحدة .

ابتسمت الآنسة مارشال وقالت بفخر :

ـ اجل ، فمساحتها تقدر بخمسة الاف ميل مربع وما فوق ، وهي واحدة فقط من عدة مزارع أخرى .

فعلقت اليكس :

ـ ذكرت روبي ان كولابرا جزء من شركة .

ردّت العمة بهدوء ولكن باعجاب واضح :

ـ تشيس هو الشركة يا عزيزتي . انه يشرف على كل شيء .

لم يحر كلاهما جواباً فابتسمت العمة مجدداً وسألت ضيفتها :

ـ منذ متى تعرفين روبي يا آنسة لاثام ؟

فقاله تشيس قبل ان تفتح فمها :

ـ اليكس تعمل في المكتب ذاته كما تشارك روبي السكن في الشقة أو بالأحرى فعلت ذلك منذ أن غادرتها الآنسة بك .

قالت العمة على الفور :

ـ آه ، نعم ، كانت تلك قصة غريبة ! لا أتصوّر حباً صاعقاً كهذا يحدث بتلك البساطة .

ولما امتنع تشيس عن التعليق استدارت الى اليكس تقول :

ـ ألا تظنينه أمراً فائق الغرابة أن تقع المرأة في الحب بهذا الشكل ؟

وللمرة الثانية أجاب تشيس بالنيابة عن اليكس فقال بهزء ناعم :

ـ لا جدوى من سؤالها يا عمتي ما دامت لم تقع في الحب بعد .

حدّق الى الفتاة منتظراً تورّد وجهها ولما تخضّب بالفعل كرهت قدرته على اثارتها . نظرت في عينيه وأجابته غاضبة :

ـ إن عدم وقوعي في الحب لا يمنعني من الاستعانة بخيالي .

بادلها النظر وردّ ساخراً :

ـ اوه ، لا ريب أنك تتمتعين بخيال خصب لكن يتوجب عليك كما يتوجب على الآنسة بك ، أن تضعي أحلامك موضع التنفيذ ، فلا بد أنها اكتشفت الآن أنّ الحياة واقع يعيشه المرء بدون أن يتطلّب منه الوقوع في الحب .

انتهوا من تناول الشاي فتنفست اليكس الصعداء اذ بدت أنها تثير معارضة تشيس لكل حوار وحديث . وحين استدعي الى خارج البيت خيل اليها أن عمته تنهدت أيضاً بارتياح .

وقالت العمة كمبرر لاستدعاء تشيس المفاجيء :

ـ المشاغل تلاحقه باستمرار . ارجو أن يلتقي بفتاة مناسبة ويستقر في حياته . فهو ان تزوّج وأنجب اطفالاً يشدّونه الى كولابرا ، فلن يتوانى عن انابة اناس آخرين في ادارة اعماله الأخرى البعيدة .

كانت روبي قد لمحت الى اهتمامه بامرأة معينة فأحست اليكس بحشرية دفعتها الى أن تسأل عمته :

ـ أليست له صديقة خاصة ؟

أجابت الآنسة مارشال باستياء :

- مؤخراً كان يصادق نجمة سينمائية ! هذا الصنف من النساء لا يفكر أبداً في الاستقرار .

هوى قلب الفتاة لكنها تابعت استيضاحها :

- من يدري ، فقد تفعل ذلك .

- ليس مهماً ما ستفعله يا عزيزتي اذ أخبرني تشيس أن علاقتهما انتهت ووعد بأن يحاول البحث عن فتاة اكثر تعقلاً .

صعب على اليكس أن تتصور تشيس مندمجاً مع فتاة من هذا النوع فقالت بجفاف :

- الفتيات العاقلات مضجرات الرفقة ، احياناً .

ومع ذلك فوجئت بجواب الآنسة مارشال :

- هذا ما قاله تشيس بالضبط وجعله يبدو كتحذير . لكن أي فتاة لن تكون اسوأ من داقينا وأرجو الا يكون تأخر كثيراً في فكرة الزواج .

- تأخر كثيراً ؟

- لم أقصد العمر يا عزيزتي . النساء ينجذبن الى وسامته لكنه من النادر أن يظهر جدّية في علاقاته معهن وأخشى أن يستمر على هذا المنوال .

خلال العشاء راحت عينا اليكس تشردان صوبه . لماذا لا تكف عن الانجذاب اليه مع أنها ما تزال منجرحة من عباراته الصريحة السابقة ؟ تمنت لو تنساها لكنها لم تقدر . لعله من الخير لها أن تعرف رأيه الحقيقي فيها ، أي انها خانعة ومضجرة ، فذلك سيمنعها على الأقل من افتقاده بعدما يرحل . إن بضع كلمات جارحة قد تشكل لها حصناً منيعاً تحتمي وراءه عندما تهاجم مشاعرها الحساسة أفكار عاطفية مضنية .

كان تشيس يجلس الى طرف المائدة الطويلة المتألقة وعمته تجلس الى الطرف الآخر .

تكلمت الآنسة مارشال كثيراً وبدا واضحاً أنها تستمتع بوجود الناس حولها . كان فستانها أنيقاً غالي الثمن ، كما فستان روبي ، وشعرها مسرحاً بروعة وفي ما عدا ذلك لم تحاول اخفاء سنها . داخلت اليكس قناعة بأنها امرأة محافظة من عدة نواح والى حد زرع فيها مبادىء خلقية عالية لا يمكن أن تحيد عنها . كان تشيس ساحراً كمضيف وجامداً قليلاً انما لا يفوته شيء مما يجري . حين استقرت عيناه عليها شعرت بسرور لأنها استطاعت أن

تجد وقتاً لابتياع فستان جديد قبل مغادرتها ملبورن . كان خصيصاً للسهرة من قماش الجورجيت ، لونه عاجي ويلف قوامها بجاذبية وذو ياقة مفتوحة باعتدال . ومع ذلك ودت لو يكف تشيس عن النظر المتكرر الى فتحة فستانها اذ أشعرها ذلك بأنه يتعمد اثارتها بجرأة لا مبالية . اما هنري برت الذي كان يجلس الى جوار روبي ، فقد جاء في موعد العشاء لاضطراره الى حضور اجتماع مهم في مدينة برصيين . عند وصوله أظهر كثيراً من تصرفات الغضب بطبيعة الحال لكن سرعان ما صفا مزاجه بعدما تحدث مع روبي وتعّرف الى اليكس . لقد رددت روبي اسمها اكثر من اللزوم مما جعل وجه هنري يشرق اطمئناناً ومع ذلك شعرت اليكس أن روبي قد تضطر الى شرح تفاصيل كثيرة فيما بعد ولم تحس اليكس شفقة كبيرة تجاهها ، فالسيد برت بدا كرجل أعيد الى رشده وتساءلت عن الشيء أو الشخص الذي قام بهذه المهمة ! بعد العشاء طلب من تشيس أن يعيره سيارة ليأخذ روبي في نزهة قمرية فوافق الآخر بترحاب ، وبعد نصف ساعة استأذن تشيس في الذهاب الى المكتب وانصرفت الآنسة مارشال لتكلم مدبرة المنزل . أحست اليكس بوحشة غريبة فقررت القيام بنزهة قصيرة في الحديقة لحاجتها الى هواء نقي يساعدها على النوم براحة .

بعد قيظ النهار بدا هواء الليل منعشاً ورائع البرودة ، فعبّت منه بعمق واسترخاء . لم تر شيئاً من نور القمر الذي ذكره هنري لكن النجوم فوقها كانت تسطع بألق بديع . اختارت ممراً واسعاً تحف به شجيرات لم تميّز نوعها في الظلمة وفكرت الاّ تبتعد كثيراً لئلا تضيع .

تمشت حوالى عشر دقائق وفيما هي تهم بالعودة وجدت تشيس على مقربة منها . انزعجت لرؤيته فقالت على الفور :

- كنت عائدة لتوي .

فابتسم قائلاً في تكاسل :

- أحقاً ؟ لم تخرجي الاّ منذ دقائق . كنت سأقترح أن نذهب مع هنري وروبي لكنني خشيت أن نثقل عليهما .

رفعت بصرها اليه لترى تقاسيمه الخشنة بوضوح أكبر ، وقالت :

- أنك تنظر الى الموضوع باستخفاف . أتظن أنه سيغفر لها بسهولة ؟

- لقد وجد هنري أنه ليس هناك ما يستحق الغفران ، انما عتب قليلاً

عل روبي لكتمها بعض الأشياء عنه ، لكنك صححتها أنت بمجيئك الى هنا .

- وأنت ، ألا يهمك أنك كنت جزءاً من الخديعة ؟ ماذا ستسمي هذه اللعبة ؟ خديعة هنري ؟

- لم هذه الثورة المفاجئة ؟ قد تكون روبي عزمت على خداعه لكنها لم تصل حدود تنفيذها . أما أنت فلم تضطري الى الكذب عليه بأي شيء . لقد أخبرته انك تعملين معها في المكتب نفسه ، ولا أحسبه سيسألك صراحة عن الاجازة التي كان من المفروض أن تقضيها روبي معك لأنه سيحجم عن تذكيرها بها . أغلب الظن سيركز أفكاره على قضية شهر العسل .

- اذن ، استطيع العودة الى البيت اذا رجعا من مشوارهما كخطيبين ؟

- ليس الآن . انك تتعجلين الأمور كثيراً .

توقف قليلاً ثم أردف متهكماً :

- هنري ليس متهوراً الى هذا الحد ، لذا عليك أن تبقي لاقناع الناس الآخرين . لا تقلقي ، سيتم كل شيء بلباقة وسهولة . كذلك سيرغب والدا هنري في التعرف اليك وستقام حفلة أو اثنتان تحضرينها . هذا كل شيء .

- اذن سيتزوجان ؟

- سأقطع ذراعي ان لم يفعلا . يبدو أن كلينا أعادهما الى رشدهما انما بطريقين مختلفين .

سألته محتدة :

- هل تحصل دائماً على مآربك ؟

أجاب بغرور رهيب :

- عندما أستطيع . أود أن أعرف لماذا غيرت رأيك بصدد المجيء الى هنا ؟ اعتقد بأن مجيئك يعتبر أيضاً مأرباً آخر حصلت عليه ، ويزعجني اني لست متأكداً من ذلك .

أشاحت عنه وقالت بارتباك :

- انت مصيب تماماً فالسبب لا يتعلق بك شخصياً انما لا يمكنني أن أشرحه لك .

- قد تضطرين الى شرحه في يوم ما .

أوعزت اليها الدبلوماسية بأن تصمت فمن المستبعد أن يتشاركا أي شيء في المستقبل .

حدّق الى وجهها وقال :

- لدي فضول لمعرفته لكني لن ألح عليك بالكلام اذ يبدو واضحاً انك غير مستعدة للبوح لي بأسرارك .

- قد تكون أسرار الآخرين مخيبة للآمال .

- صحيح ، لكن أسرارك قد تروق لي .

نظر اليها عبر الظلام حين رفع الهواء شعرها الذهبي مظهراً جانب وجهها الرائع وعنقها البديع . قال بصوت أجش :

- أود أن أعرف كل شيء عنك . . .

لم تتأكد من قصده الا انها شعرت بشيء يتململ في داخلها كاشارة رادار مبكرة تنذر من غزو محتمل . سألته وهي تتصنع البراءة :

- الا تخشى أن أضجرك ؟

ضحك تشيس فلم تعرف ان كان أخذ سؤالها على محمل الجد . قال :

- اذا احتفظ كلانا بأسراره لنفسه فذلك لا يجب أن يمنعنا من التعرف الى بعضنا بطريقة أفضل .

حيّرها كلامه فتطلعت اليه قائلة :

- وما جدوى ذلك طالما أنك ستغادر بعد يومين وسأرحل أنا قريباً ؟ أعتقد أننا أشبه بسفينتين تمران ببعضهما في الظلام .

- حتى لو تعارفنا لساعتين فقط فأفضل أن يتم التعارف على أساس ودي يا اليكس . كذلك الخطط قابلة للتغيير فأنا أروح وأجيء حسبما يحلو لي .

فقالت تتحداه بصوت مهتز :

- هل تترك دائماً مخرجاً لنفسك لتضمن سلامة اللعبة ؟

أهداها ابتسامة هازئة لا تخلو من الوعيد وأجابها :

- كلا ، أنا لا أفعل ذلك . انها على الأرجح لعبتك انت .

- الا تقضي الحكمة بأن تأخذ الفتاة جانب الحذر ؟ ان العواطف قد توجد مشاكل ، حسبما رأيت بنفسي .

- اذا عرفنا كيف نتعامل مع العواطف فقد تزودنا بمسرات عديدة .

فقالت بجرأة مذهلة :

- يخيل الي ، لكونك رجلاً ، انك تقرن العواطف دائماً بالحس .

تجاهل انفعالها وأجاب :

- انت بحاجة لتعلم الكثير يا اليكس لاثام ، لكن بالمقابل لديك معطيات كثيرة . قد تنكرين هذا ، الاّ ان هذه الحقيقة تطل من عينيك وفمك ومن قوامك الرائع .

تملكها غضب وخوف فتراجعت بعنف وهتفت :

- لا تكن سخيفاً ! انك تصف فتاة لا تشبهني البتة !

قال بنعومة :

- أحقاً ؟

أحست بوجوب الهرب منه فخطت بسرعة وتعثرت . امتدت يده كما البرق لتسندها ، وسرعان ما شدها اليه ، همس لها وقلبه يخفق متسارعاً :

- أظن الوقت قد حان لتتعلمي بعض الأشياء عن نفسك . إن الاميرات النائمات يحتجن الى من يسندهن والاّ سقطن أرضاً .

هتفت شاهقة :

- لا احتاج الى أية دروس منك !

كان الهواء قد بعثر خصلات شعرها الذهبية على فمها فأزاحها عنه بلطف متوعد وقال :

- في حالات كهذه أميل الى التركيز على ما أريد لكن يخيّل الي الآن ان كلينا يريد الشيء ذاته .

مرر اصابعه على جبينها كما الريشة ثم اخفض رأسه ، حاولت الهرب فاشتدت ذراعاه ، مقاومتها أغضبته وجعلته يندم على تقربه اللطيف . خفق قلبها بجنون من تأثيره عليها .

رفع وجهه قليلاً فهمّت بالانسلاخ عنه لكنه هز رأسه وهمس مبتسماً وهو يرقب الدهشة في عينيها :

- ليس الآن .

ارجع رأسها بلطف الى الوراء حتى سقط ضياء النجوم في عينيها الذعرتين وتألق على جلدها الحريري . تأوهت بوهن فرفع ذقنها ليجعلها تنظر اليه وقال متمهلاً :

- لمست فيك شيئاً من البراءة لكنني لم أعلم مقدارها . لا أظنك تعرفين لغاية الآن معنى العلاقة الحقيقية .

تملكها الذعر اذ لم تطق فكرة هذا الاعتداء على خصوصيتها . فلأول مرة تواجه رجلاً يغوص في أسرارها الدفينة ولا قبل لها باحتمال هذا الوضع . لقد عانقها شبان من قبل انما ليس هكذا . أو على الأقل ، لم يشعرها أي منهم بهذه المشاعر التي تقضم عروقها وحواسها .

لم تدر كيف تقاومه انما شعرت بوجوب المقاومة فهمست تتوسله :

- ارجوك . اننا غريبان عن بعضنا ! لست مضطرة الى اجابة أسئلة كهذه .

فرد بشيء من الغضب وعيناه تغوصان في عينيها الحائرتين :

- لا يمكن أن نكون غريبين بعد الآن . هل لك أن تسترخي وتكفي عن القلق ؟ انا لن اؤذيك . قد اضطر الى ذلك يوماً انما ليس الآن .

- كلا . . .

احنى رأسه ووجد وجهها . قسا مجدداً فحاولت دفعه عنها . جرف مقاومتها كفيضان لا سبيل لانقاذ نفسها منه . الاّ انها أدركت أنها لا تبغي الهرب من تشيس بقدر ما تود الهرب من مشاعرها .

ولما أطلق سراحها كانت تنبض بالحياة ولم تشأ أن تتركه . تنفست عدة مرات لتخفف لهاثها ولتستطيع القول :

- هل ارتحت الآن ؟ لقد قصدت أن تخيفني !

هتف بجدية :

- لم اقصد ابداً اخافتك . هذا هراء ! انا الذي أشعر بخوف وليس أنت !

بدا كرجل وقع على الرغم منه فريسة شيء كان يظنه سهلاً فاذا به يكتشف متأخراً أنه أقوى منه ! نظر اليها غير آبه للدموع الملتمعة في عينيها وكأنه يفكر في مشكلاته الجديدة الخاصة .

أما هي فلم تفكر الاّ في مشاعرها التي أفاقتها وظلت تستشعر حدتها والى درجة اضطرتها الى انكارها بقولها :

- لا تخطىء الظن باني استمتعت بعناقك الوحشي ! هذه تجربة لا أرغب في تكرارها .

أجابها بصوت كالفحيح :

- أيتها الكذابة الصغيرة ! في المرة المقبلة سأجعلك تندمين على كلامك . قد تكونين بريئة لكنك لست جاهلة أو ساذجة .

لسعها غروره الذكري فهتفت بفم يتقلص غضباً :

- لا يحق لك أن تكلمني هكذا !

أجابها بليونة وقد تمالك نفسه :

- لقد حان الوقت لأن يأخذ شخص بيدك ويعرفك الى الجانب الآخر من طبيعتك . . . لقد تربيت جيداً وانصقلت من بعض النواحي ، من قبل شخص وضع نصب عينيه هدفاً معيناً لكنه ، وللأسف ، أهمل تعريفك الى نواح اخرى .

فكرت فوراً في امها فأجفلت وارتعشت . لحظ تشيس تغيرها فقال :

- هذا ما حسبته . قد تشعرين غداً بحاجة الى الافضاء اليّ بمشكلتك وليس الآن ، اذ أمضيت يوماً مرهقاً مشحوناً بالأحداث . انصرفي الآن يا اليكس ولا تنسي أن تلقي تحية المساء على عمتي هارييت قبل أن تخلدي الى فراشك .

صباح اليوم التالي حمل اخباراً مفاجئة . لم تغمض اليكس عينيها حتى الفجر ثم استغرقت في نوم طويل . وجدت الآخرين يتناولون طعام الافطار حين هبطت من غرفتها بعد أن استحمت بسرعة وارتدت بنطلون جينز وبلوزة رقيقة .

- آسفة لتأخري .

لم يقل تشيس شيئاً ولم تستطع معرفة أفكاره حين نهض واقفاً وأزاح لها الكرسي لتجلس . كان يراقبها بنظرة يقظة وكأنه قدر أن يحدس مقدار الوقت الذي أمضته مسهدة تفكر فيه .

ابتسم لها هنري عبر الطاولة وقال :

- يمكنك أن تكوني أول المهنئين يا آنسة لاثام ، اليكس ، فروبي وافقت على الزواج مني . قال تشيس انك ستحضرين حفلة الزفاف .

وبرغم حيرتها استطاعت اليكس أن تظهر بهجتها للخطيبين السعيدين . لقد حدثت الخطوبة بسرعة ويسر ، فعلام اذن ، كانت كل تلك الجلبة ؟ اما بالنسبة الى حضورها الزفاف فلن تفعل ذلك حتماً انما لا

يسعها الآن أن تجهر رفضها . سألت روبي المشرقة الوجه أن كانت قد أخبرت عمتها نبأ الخطوبة فأومأت العروس وقالت :

- أخبرناها ليلة امس بعد رجوعنا وقد ابتهجت كثيراً .

زاد تشيس من حيرتها عندما أزاح كرسياً وجلس الى جانبها بدل أن يعود الى مكانه المعتاد عند رأس الطاولة . تجاهل نظرة اخته المستغربة وسكب القهوة لأليكس ثم لنفسه . حدق الى جانب وجهها فتوردت وتساءلت عن سبب لذته في احراجها . علمت ان هنري قضى الليلة في كولابرا وأنه سيأخذ روبي معه لزيارة والديه وانها سترافقها ، لقد رتبوا كل شيء من وراء ظهرها ! رمقت تشيس باستياء وتساءلت . . . كم من الأمور الأخرى سيقررونها بدون استشارتها ؟ انها لا تريد الذهاب الى أي مكان عدا العودة الى ملبورن ! واضطرت الى القول محتجة :

- كنت اعتزم التجوال في كولابرا فأنا لم ار منها شيئاً لغاية الآن .

أجابها تشيس مؤكداً :

- ستجدين وقتاً كافياً لذلك .

ثم استدار الى هنري وقال بنبرة حازمة :

- اذهب الآن مع روبي وعند العصر سوف آخذ اليكس بنفسي لزيارتكم .

أجفلت روبي وقالت بسرعة :

- لا حاجة لأن تتعب نفسك يا تشيس فبوسع اليكس أن تذهب معنا .

ردّ أخوها مبتسماً بسخرية :

- لا ريب أن والدي هنري لن ينزعجا من قضائنا الليلة هناك لأني واليكس سنعود غداً الى هنا .

ثم قال لاليكس :

- اتركبين الجياد ؟

أومأت بالايجاب وأردفت بعدما استردت أنفاسها :

- لكن خبرتي محدودة في هذا المجال .

تساءلت ، لماذا تجري الأحداث بهذه السرعة ؟ بدأت تشعر كطفلة تطوحها أرجوحة عنيفة وتتوق بعصبية الى توقفها قبل أن يتملكها دوار كامل . . . انها مسرورة لخطوبة روبي وهنري الدمث الطباع . لكن روبي

ظلت حتى يوم أمس تتذمر من اضطرارها لرؤية هنري ، وها هي الآن مخطوبة اليه وتبدو كأنها ما أرادت من دنياها الا الزواج منه . . . كيف حدث هذا ؟ هل يعود الفضل الأكبر الى تشيس العبقري في مجال التنظيم والادارة ؟ أدهشها أن أحداً لم يفكر في معارضته لكنها أقرت بصعوبة هذه المعارضة ، فهي نفسها لا تجرؤ على رفض طلبه بالتجوال معه في المزرعة ، وقد لا تستطيع الرفض بصفتها موظفة في الشركة ، شركته هو لسوء الحظ ، مع انها جاءت هنا بصفتها صديقة لروبي .

أضافت بسرعة وقد أملت أن تثنيه عن عزمه بالتجوال معها :

ـ لم امتط حصاناً منذ سنوات طويلة .

ـ لا عليك ، ستحصلين على الخبرة الكافية اذا أشرفت بنفسي على تدريبك .

ثم التفت الى هنري وأردف بلطف حازم :

ـ اذن ، سنراكما اليوم بعد الظهر .

أعقب كلامه صمت حائر فأمسك بذراع اليكس وخرج بها الى الردهة . وهناك رمق شعرها الأشقر وقال جازماً :

ـ يجب أن تلبسي قبعة كي لا تتأذى بشرتك الجميلة وأنا لا أريد لها ذلك .

همت باعطائه جواباً لاسعاً الا أن نظرة عينيه اسكتتها فسمعت نفسها تقول بخضوع :

ـ لدي قبعة في غرفتي .

ـ عظيم .

كلمة واحدة فقط لكنها حملت من السلطة ما أشعرها بالعجز الكامل أمامها . وفيما هو يقف منتظراً تحركها قالت بتردد :

ـ هل هناك ما استطيع فعله يا تشيس ؟ في المكتب ربما ؟ انك تدفع لي راتباً وطالما وددت العمل في مكتب زراعي . لا يمكنني اضاعة وقتي هباء .

أجابها بنفاد صبر :

ـ اذا عملت هنا ستثور الشكوك سريعاً .

ثم ابتسم لعينيها القلقتين وأردف :

ـ اطمئني ، فقريباً ستجدين أشياء كثيرة تملأ وقتك . اركضي الآن

واحضري القبعة .

بعد ساعة من الزمن عادا الى المنزل ووجه اليكس يطفح بشراً . لقد أبهجها كل شيء رأته وأثار فيها متعة عارمة صعب عليها كبتها . أخبرها تشيس أن المزرعة تقع على ضفاف نهر جورجينا وقد أطلق عليه هذا الاسم نسبة الى زوجة أحد حكام مقاطعة كوينزلاند ، ومعظم كولابرا تمتد الى مرتفعات باركلي وأقرب بلدة اليها هي ماونت آيزا وهي مركز لاستخراج المعادن ، وحيث توجد أيضاً الكلية الحربية الجوية ، فيما بعيداً عنها ، تقوم مدينة كلونكاري .

أخبرها تشيس أيضاً أن الفجوات المائية التي تخلفها الفياضانات بعد انحسارها تشكل معلماً رئيسياً من معالم تشانال كاونتري اصطحبها الى واحدة منها أحدثت أعمق الانطباع في نفس اليكس ، اذ اتسعت عيناها دهشة أمام هذه البركة المستنقعية الشاسعة المساحة وحيث هربت أسراب عديدة من الطيور لدى اقترابهما فيما بقيت أسراب اخرى بدون أن تلحظ وجودهما . رأت طائر الحارس ذا المنقار المعقوف يخوض الماء الموحل الى جانب بط وبجع وبلشون وأنواع أخرى لا تحصى . وهتفت بانفعال طاغ :

ـ يا للروعة ! طيور وطيور وألوان في كل مكان كما لو أن فناناً يخبط بريشته كيفما اتفق . لم أر في حياتي مشهداً كهذا !

تبسم تشيس باستحسان وقال :

ـ هذا وصف من جملة أوصاف لكنك عبرت عن مشاعرك بمهارة .

أحست بالحرارة لعدم اعتيادها على ركوب الخيل وقالت وهي تنظر الى الماء بحنين :

ـ بي رغبة في الاستحمام لكني لم أجلب معي ثوب سباحة .

قال مداعباً ليجعلها تتورد خجلاً :

ـ وما يمنعك من السباحة بلا ثياب ؟ طالما فعلت أنا ذلك وخاصة في صغري . انها أفضل سباحة على الاطلاق .

الصباح بأكمله كان نوعاً من التجلي بالنسبة اليها ومنذ أن اختار لها أحد العمال مهرة جميلة مروضة وألبسها السرج . . . قد توصف كولابرا بالانعزال لبعدها عن المزارع الأخرى بنحو مئتي ميل الا أن الحركة

المتواصلة في المباني من شأنها أن تنفي عنها صفة الانعزال هذه . لقد جال معها تشيس في هذه الأماكن واستمتعت بالجولة المنظمة الى درجة انستها عداءها السابق له .

بعيداً عن المنزل الرئيسي كانت السهول تتدحرج على مد البصر وتخترقها الأقنية العديدة التي استمدت منها هذه المنطقة اسمها .

نظر تشيس الى وجهها المتورد وقال :

ـ اعتقد أنك رأيت ما فيه الكفاية هذا الصباح . لا يبدو عليك الارهاق لكنني أريدك أن تحتفظي بنشاطك لتستمتعي ببقية النهار . سوف تتعبين ان ابتعدنا أكثر ، كذلك لدي عمل في المكتب .

ـ نعم يا تشيس .

لم تجد شيئاً آخر تقوله . لقد صرف معها وقتاً طويلاً ولا يجب أن تثقل عليه .

اختلج فمه وقال :

ـ كم تبدين خاضعة عندما تتكلمين هكذا وكأنك بنت صغيرة معتادة على الامتثال للأوامر .

ـ في البيت اتصرف هكذا .

قرب فرسه من فرسها وبلطف وسألها :

ـ أهي امك ؟

أومأت بصمت وقد غزا محياها عالم من التوتر الأخرس . خبت حيويتها بعض الشيء واعترفت قائلة :

ـ انها تسيطر عليّ بشكل ما .

سألها بصوت دافيء ليحظى بثقتها :

ـ ما هي المشكلة بالتحديد ؟

لحظتها قررت اليكس أن تفضي له بهمها ، فهو ، كرجل غريب ، قد تأتمنه على البوح له بتصرفات والدتها . في أي حال بدا أنه تكهن ببعض الحقيقة وفي الوقت نفسه ستزيح حملاً عن صدرها . لا موجب لأن تخبره التفاصيل وبامكانها أن تروي له القضية بأسلوب مرح لتخدعه . قالت :

ـ انها تطمح الى تزويجي من مليونير !

ـ ولم لا ؟ لديك من الجمال ما يكفي لذلك .

ندمت على اخباره فقالت تتهمه بمرارة :

ـ انك تهزأ بي !

ـ ليتني كنت اهزأ ! أفهم من كلامك أن امك طموحة يا اليكس ولسوء الحظ لا يوجد عدد كبير من أصحاب الملايين .

ـ استعملت تعبير المليونير من باب الدعابة فقط لكن مطلق رجل ثري سيعجب امي .

ـ ولن يعجبك أنت ؟ يبدو أنك غير متحمسة لفكرة كهذه ؟

قالت وهي تغتصب ابتسامة خفيفة :

ـ لا تكن سخيفاً . لا يمكنني أن أتصور نفسي مع رجل واسع الثراء . سأكتفي برجل عادي الحال شرط أن أحبه .

ـ فهمت .

لقد حاولت تلطيف الجو بابتسامة الاّ أنه بدا عازفاً عن التجاوب . تقلص وجهه فجأة وقال باقتضاب :

ـ هل تفكر امك في شخص معين ؟

ـ هناك واحد أو اثنان . . .

ـ اذن لهذا السبب هربت من سيدني ؟

رأت وجهه يكفهر وعينيه تضيقان بغضب فقالت تراوغه :

ـ ليس تماماً . لقد ذهبت الى ملبورن حين كانت امي في انكلترا ، ولكي نبتعد لفترة عن بعضنا بعضاً .

أمسك بلجام فرسها ليوقفها وسألها باهتمام واضح :

ـ ألم تلحق بك امك لغاية الآن ؟

أرغمها على النظر في عينيه وأردف باصرار :

ـ اجيبيني يا اليكس . هل لحقتك ؟ هل تعلم أين أنت الآن ؟

ـ تعتقد انني اعمل في الشمال . لا داعي لأن تغضب . لم أستطع بالطبع أن اشرح لها قصة روبي بالتفصيل .

ـ ما زلت أحس نفسي بعيداً عن معرفة الحقيقة .

وللحظة بدا خطيراً وهو يخترقها بنظرته الحادة كالرمح وكأنه صمم على سحب الحقيقة منها باستعمال العنف . اجتاحها الذعر ففقدت رباطة جأشها . وبدون أن تفكر جذبت اللجام من يده بقوة ، الأمر الذي لم يرق

لمهرتها العنيدة وحيث رفعت قائمتيها الأماميتين ورفست بحافريها الخلفيين ثم قذفت باليكس من فوق رأسها كما الكرة . سقطت اليكس على أرض صلبة ورأت نجوماً تتراقص أمام بصرها ، ومن خلال الضباب أكدت لنفسها أنها سقطت على وجهها ولا يعقل أن تصاب بالاغماء . ثم استسلمت للضعف الذي اجتاحها واغمضت عينيها لتهرب من العقاب الأقسى الذي أحسته غريزياً يهم بالانقضاض على رأسها المصدوع .

٥- عرض مرفوض

استلقت اليكس بلا حراك ومشهدها يثير الشفقة. هذه ليست أول مرة تقع فيها عن ظهر حصان، لكنها اول مرة تقترف فيها فعلة حمقاء كهذه وتجلب المصيبة لنفسها. أبقت عينيها مغمضتين، ليس فقط لشعورها بالخوف والصدمة بل لتتجنب رؤية الاحتقار على وجه تشيس مارشال. فهو لا يحترم احداً يعامل فرساً بتلك الخشونة التي اقدمت عليها. وفجأة احسته يقف الى جانبها وسمعته يقول بصوت أجش يدل على خوف وانفعال:

- اليكس؟

لمسها باحتراس ثم قلبها بلطف واخذت يداه تجسان جسمها المتهدل بمهارة بحثاً عن كسر عظمي فيه. غمغم شيئاً لم تفهمه انما بدا مشتتاً بشكل

غريب.
خجلت من تصرفها الجبان ففتحت عينيها في الأخير. ابتسمت له من باب التطمين وقالت بصوت واهن:
- لم اصب بأي اذى... انظر...
حركت ذراعيها وساقيها لتؤكد له ذلك، وهنا ثار غضبه فهتف وعيناه تقفزان في وجهه الشاحب:
- يا لك من حمقاء غبية! هل فقدت صوابك؟ كان من الجائز ان تقتلي نفسك!
- لم يحدث ذلك.
ثم توسلته بعينيها وحاولت ان تهدىء روعه بقولها:
- اسفة...
- آسفة!
وفجأة هوى برأسه... وكأنه لم يستطع التعبير عن ازدرائه بأية طريقة اخرى. اذهلتها وحشيته اكثر مما اذهلتها سقطتها، فليلة امس كان لطيفاً بالنسبة الى هذا العنف الذي يبديه الآن. كرهت تصرفاته المؤلمة فتقلصت عضلاتها. أمرها بصوت خشن ان تسترخي وظهرت في عينيه فجأة نظرة ارعبتها وأغرقتها بأمواج متلاحقة. هذا التعبير لم تره في عيني اي رجل من قبل فطغى ذعرها على العواطف الاخرى التي تشعر بها. شهقت بخوف:
- اطلق سراحي!
قاومت ذراعيه تردد تشبس قليلاً ثم ابتعد عنها متمهلاً. توقف قلبها عن خفقانه المذعور وقالت وهي تنهض واقفة بارتخاء:
- آسفة. كانت حماقة مني ان اذعر فرساً كتلك. فعلت ذلك بلا ادراك.
- ينبغي ان تتعلمي السيطرة على اعصابك عندما تثور. انت تتصرفين كالاطفال.
ضاقت عيناه فتأكدت اليكس انه ما يزال يقاوم شعوراً عنيفاً يتفاعل في نفسه. تفرست في وجهه قلقة فلم تر سوى الغضب وقد زال من عينيه ذلك التعبير الذي ارعبها وتمنت الآن لو تستطيع نسيانه. وسرعان ما خبا غضبه ايضاً وتوجه الى حيث كانت الفرسان ترعيان العشب بهدوء. رفعها الى ظهر المهرة وقال بجفاف:

- لنعد الى البيت.
بعد الغداء رافقته في طائرته الصغيرة لزيارة مزرعة برت. سألته بعدما صارا في الجو:
- ألن تعيق أشغالك هذه الزيارة؟
- اعرف كيف انظم اوقاتي واشغالي. ان اندرو بليك مدير جيد، ولولا كفاءته لما استطاع ادارة الاعمال في غيابي وانا اغيب كثيراً عن كولابرا.
نظرت الى يديها المتقلصتين وأرختهما على حضنها... انه يبدو عازفاً عن الحديث لكنه اكثر وداً مما كان عليه قبل ساعة مضت، هل تراه غفر لها حماقتها؟ اتعستها افكارها فمضت تقول:
- هل بامكانك التخلّي عن معظم مشاغلك الاخرى لتستقر هنا نهائياً؟
- سأفعل ذلك ان تزوجت.
- ألن يتوجب عليك اولاً ان تأخذ موافقتها على العيش معك في هذه المزرعة النائية؟
- اتصور انها سترضى بالعيش معي في اي مكان.
رمقها بنظرة سريعة ثم اختلج فمه وقال:
- وماذا عنك يا اليكس؟ هل تنوين قضاء حياتك في مكتب؟ قد تكون امك على بعض الخطأ في تصرفاتها لكن تفكيرها قد يكون اصوب من تفكيرك.
- انا احب العمل ولا موجب لان يكون مضجراً. انه لا يستغرق كل ساعات حياتي ولدي الكثير من اوقات الفراغ.
- الم تفكري ابداً بزوج وعائلة؟
تذكرت دون فيشر فامتعضت من فكرة الزواج واجابت قائلة:
- لن افكر في الزواج قبل سنوات طويلة.
- قد استطيع تغيير رأيك.
كم تروق له مداعبتها! لم تتصوره في اي وقت كزوج لها ولا يعقل ان يكون هذا مقصده. التفتت اليه قائلة:
- اتراك تعدّد لي حسنات الزواج من اجل تمضية الوقت؟
- اذا ساعد ذلك في اقناعك فقد يشكرني شخص ما على صنيعي.
اذن لم يكن يقصدها بالذات انما يتحدّث بصورة عامة. وبدل ان تشعر

بالارتياح احست بخيبة حادة آلمتها. ضحكت بخفة لتخفيها وسألته:

- هل كان ما حدث ليلة امس جزءاً من خطة الاقناع؟

بادلها ضحكتها بضحكة اكثر خشونة وقال:

- لا اظننا نستطيع التخطيط لهذا النوع من المواقف العاطفية التلقائية، لكنك اظهرت تجاوباً كبيراً.

مالت الطائرة قليلاً. كانت الشمس قوية والهواء مثقلاً بالحرارة وبرائحة السهول الجافة. شعرت باختناق الجو فقالت وهي تزيح شعرها الكث عن وجهها:

- الا يمكنك ان تنسى الحادثة؟

اجابها بغموض حيرها:

- انا انسى فقط ما ليس له علاقة بالمستقبل.

- ثق انني على عكسك.

ارتجفت حين انجذبت الى كتفيه العريضتين والى رأسه الفخور والمكلل بشعره الاسود. قالت له بشكل دعاء:

- لن اكون هنا في المستقبل فقريباً سأعود الى بيتي.

- لن تذهبي الى اي مكان في المستقبل القريب وكذلك انا. احسبني الهمتك هذا من قبل.

هزت كتفيها دلالة اللامبالاة. ان بقاءها هنا فكرة رائعة ستكسبها تجربة فريدة لكن اعتزامه البقاء ايضاً سينكد عليها سعادتها اذ يصعب عليها الاسترخاء في حضوره المنذر دوماً بالخطر. سألته بغموض:

- ان مكثت في كولابرا ماذا ستفعل بشأن صديقتك؟

فاستفسرها بصوت فتر على حين غرة:

- صديقتي؟

- الممثلة... السينمائية. لقد ذكرتها لي روبي.

- آه، دافينا.

- اتقصد دافينا وايلد؟

- هي بعينها.

لم يعلق على نبرة الدهشة والاعجاب في صوت اليكس واردف:

- علاقتي بها انتهت.

- كم... كم طالت تلك العلاقة؟

ندمت على سؤالها اذ توقعت منه ان يطلب اليها اقفال الموضوع ولذا فوجئت حين اجاب بهدوء:

- دامت بضعة اشهر وافترقنا كصديقين.

همّت بسؤاله عن الشروط التي طالبت بها دافينا لقاء انهاء العلاقة، لكنها اخرست لسانها في الوقت المناسب وهي تشعر بذعر من الدافع الشيطاني الذي زين لها ذلك. تصورته ودافينا في مواقف عاطفية حميمة فشعرت بهبّة ساخنة ولم تدر السبب. كذلك احست بلسعة تشبه الغيرة تمزق كيانها فأجفلت منها بحيرة. لكنها قالت له بفتور:

- اغلب الظن انك منشغل الآن بالبحث عن صديقة غيرها؟

استدار اليها متأملاً وجنتيها المخضبتين بنظرة براقة وقال:

- يصعب علي التنسك في هذه السن يا اليكس. اني رجل ولدي حاجة طبيعية الى النساء لكنني استطيع الاستغناء عنهن أحياناً.

تذكرت تلك النظرة الغريبة التي رأتها في عينيه فردت بهزء وبصراحة مماثلة:

- لا احسبك تتمتّع بقوة عظيمة على المقاومة. لماذا لا تتزوج واحدة من اللواتي تعرفهن؟

- اليكس! انا لا امتلك حريماً! اذا صمّمت يوماً على الزواج فلن يهمني سواء عرفتها قبل الزواج أم بعده.

- لكنك لن ترضى بفتاة عرفت رجلاً قبلك؟

انفجر فجأة فهتف بوحشية:

- اوه، يا الهي... كلا لن ارضى بفتاة من هذا النوع! والآن اياك ان تشرعي في غناء تلك المعزوفة المهترئة والقائلة بأن ما ينطبق على الرجل ينطبق أيضاً على المرأة! لقد سمعتها مراراً من قبل ولا ارغب الآن في سماعها.

تنفست من عمق صدرها المنجرح وقالت:

- حسناً. لكنني احسب انّ رجلاً مثلك يعتقد انه يحق له اختيار الافضل بسبب ثرائه العريض؟

- ايتها العفريتة الـ...

توقف فجأة ثم ضحك عالياً. مرر يده على مؤخرة عنقه واردف قائلا:

- اليكس، ارجوك! الا تظنين انّ هذا الحديث قد بدأ يثير اعصابنا؟ اننا ذاهبان للاحتفال بحدث سعيد، وليس من اللائق ان نصل ونحن نبدو كما لو كنا عائدين من جنازة او من معركة.

لاحت لها مزرعة برت فتنفست الصعداء. كانت تجلس شاحبة الوجه مكسورة الخاطر فيما مشاعرها الداخلية تصطلي بنار الخيبة. لقد خذلها القدر اكثر مما خذلها تشيس وكم هو مخيف ان تشعر بانجذاب الى رجل يضجر من رفقتها ولا يشعر نحوها بأي ميل!

وجدا هنري برت في استقبالها وسرعان ما اوصلها بسيارته الى المنزل الرئيسي. لم يكن في مستوى فخامة المنزل الرئيسي في كولابرا الا انه كان مريحاً للغاية. وقررت اليكس ان روبي فتاة محظوظة وستلقى فيه ما تنشد من رعاية واهتمام.

اتضح لها في ما بعد، ان والدي هنري سوف يعودان للسكن في مزرعة العائلة الاساسية بعد زواج ابنهما. كانت اصغر من هذه وتقع في مقاطعة نيو ساوث ويلز. لقد أجّلا موعد انتقالهما في انتظار ان يحدّد هنري وروبي موعد الزفاف، وحين تناهى اليهما ان روبي كانت ستذهب في اجازتها مع رجل آخر تملكهما ذعر شديد انما لدى اتضاح الحقيقة صار بامكانهما ان يضحكا ساخرين من تلك المفارقة الطريفة. كان بالفعل امراً مسلياً ان تنحسر شخصية اليكس عن فتاة في منتهى الجاذبية والجمال! ووجود اليكس هنا من شأنه ان يزيل اية مخاوف ما تزال عالقة في نفسيهما، وقد ازداد اطمئنانهما لما علما انها صديقة لعائلة مارشال في ملبورن. كذلك اخبرها تشيس الذي لم يفارقها انها ستكون واحدة من وصيفات روبي والعرس سيكون رائعاً تنطبع ذكراه في الاذهان.

كان العشاء مرحاً للغاية. تناولوا الطعام باكراً وبعد ذلك اكتظت قاعة الاستقبال بالجيران الذين توافدوا لتهنئة الخطيبين السعيدين. لم تكن بالطبع حفلة الخطوبة الرسمية، فتلك ستقام في كولابرا في ما بعد، حسبما شرح لها تشيس، وسوف يستغرق الاعداد لها بضعة ايام لان الناس، في هذه المنطقة النائية يصرّون على اعطاء الاحتفالات حقها من الابهة والكرم والجمال. سعادة روبي الحالية، بعد كل تذمراتها السابقة في ملبورن،

استمرت تدهش اليكس وتحيرها. فروبي تبدو الآن كقطة ناعمة قريرة ومتخمة الاحشاء بعد حصولها على فريستها، ولا يبدو عليها اي تعبير يشير الى رغبتها في الابتعاد بوصة واحدة عن حبيبها هنري. وسرعان ما تلقت اليكس مفاجئة اخرى لا علاقة لها بقصة روبي. ففيما هي تجوّل بصرها في ارجاء القاعة بغتت لمرأى امرأة جميلة تعبر الباب وكانت هذه الحورية الساحرة تنظر مباشرة الى تشيس. لحظت اليكس الاستغراب الذي غزا وجهه لكن عندما التفت صوبها بسرعة لم تدعه يرى في عينيها سوى الخواء والجمود. تلكأت نظرته برهة على محياها فسرّت لكونها استطاعت التظاهر بعدم الاكتراث ثم استدار ناظراً الى الزائرة الجديدة. قدّمت المرأة تهانيها لهنري وروبي قبل ان تطير الى حيث يقف تشيس، وفات اليكس سماع اسمها بوضوح، لكنها سمعتها تخاطب تشيس بحرارة:

- مرحباً يا حبيبي! الست مسروراً لرؤيتي؟

ثم طرحت يديها على كتفيه وقبلته بدفء وتمهل. لف ذراعه حول خصرها باسترخاء وبادلها تحيتها معطياً الانطباع بأنه مستمتع أشد الاستمتاع بلقياها.

وهتفت المرأة بعذوبة:

- اوه، تشيس، لقد اشتقت اليك جداً والى حد دفعني الى قبول دعوة ماري للمجيء هنا. لقد فشلت المسرحية في نيويورك، ولن يبدأ تصوير فيلمي الجديد قبل ثلاثة اسابيع.

احست اليكس ببرود فجائي. لا بد انها صديقة تشيس او بالاحرى صديقته السابقة كما قال، لكن هذه المرأة تملك من الفتنة ما يكفي لاثارة اهتمامه من جديد. كانت تتعلق بذراعه بطريقة مغرية ساحرة وتتطلع اليه باشراق ولهفة. اشاحت اليكس عنهما بحيرة. بعد قليل رأتهما يتهامسان. بعد منتصف الليل بقليل خرج تشيس ليشيّع دافينا فانسلت اليكس الى غرفتها وعند الباب التقت بروبي. توقفت الفتاة وقالت وهي ترمق بحدة وجه اليكس الشاحب:

- الآن ادركت لماذا لم يكن تشيس مستعجلاً في العودة الى المدينة. ما رأيك في دافينا؟

شعرت اليكس ان روبي تقذفها بحجر فتجاهلت سؤالها وقالت

لتفحمها:

- لا بد انه اندهش لرؤيتها.

- لا اجد داعياً لدهشته لأن كل الاذاعات بث خبر مجيئها الى اوستراليا. أنا اكيدة ان هذا السبب الذي جعله يبقى في كولابرا.

تملكها الارتجاف عندما دخلت غرفتها وكرهت تشيس مارشال من جديد لاستطاعته التأثير عليها بهذا الشكل. ان المشاعر التي اثارها فيها لغاية الآن لم تجلب لها الراحة بيد ان هذا الشعور بالوحشة طغى على كل انزعاجاتها السابقة وجعلها اشد تصميماً على الهرب بأسرع ما يمكن.

في اليوم التالي عادت مع تشيس الى كولابرا حيث كانت الاستعدادات لحفلة الخطوبة الرسمية قائمة على قدم وساق. وجدت الآنسة مارشال تسيّر الأمور بمهارة انما بدا واضحاً احتياجها الى مساعدة اضافية. وهكذا لما طلبت الآنسة مارشال مساعدتها بطريقة توسلية تقريباً، لبت طلبها بلهفة فورية، فخير لها أن تفعل مطلق شيء من ان تقضي الوقت جالسة تفكر في تشيس وفي وسامته القاتلة! ألقت نفسها في خضم العمل بلا هوادة كي تتخلّص من ذلك القلق الغريب الذي فتك بأعصابها، وقررت بمرارة ان لا تدع تشيس يحدس مقدار نجاحه في اثارة عواطفها الكامنة ان كان يتقصد اثارتها لغاية في نفسه. قبل بضع ليال من موعد الحفلة لحق بها تشيس الى حيث كانت تجلس عند حوض السباحة وسألها:

- عساك لا ترهقين نفسك بكثرة العمل؟

كانت بركة السباحة جميلة ككل شيء جميل داخل المنزل وخارجه لكنه رمقها بوجوم وتابع مخاطباً اليكس:

- اليس من الحكمة الاّ تسبحي بمفردك وانت متعبة؟

لم توافقه رأيه، فهي خرجت لتوها من الماء وتشعر بانتعاش كبير. نظرت الى البركة الساكنة وتمنت لو يسكن قلبها مثلها لدى اقترابه منها. غطست يدها فيها وتسارع خفقان قلبها حين وقع بصره على اصابعها المهتزة. برقت عيناه بانتصار فادركت انه عرف جيداً ما تحاول اخفاءه.

تناولت برنس الحمام بسرعة ولم تأبه للسخرية التي امتزجت بنظرته المركزة وهي ترتديه وتحكم رباطه حول خصرها. ثم عادت تستلقي على المقعد المستطيل الوثير بكل ما اوتيت من ثقة وكبرياء واجابته قائلة:

- لا ريب ان جميعنا متعبون قليلاً، باستثنائك انت.

كان الهواء دافئاً وهي تحب هذا الوقت من الليل، فترة ما بعد العشاء، حين ترحل حرارة النهار مع نور الشمس وتظهر النجوم لترسل ضياء كافياً يخفف حلكة الظلام. هذه المرة الثانية التي سبحت فيها ليلاً فيما سائر الامسيات كانت تقضيها في غرفة الاستقبال مع الآنسة مارشال وعدد من العاملين الذين يتناولون معهم طعام العشاء. هذا المساء تفرق الجميع لسبب أو لآخر وآوت العمة هارييت الى فراشها باكراً. اجابت سؤال تشيس بقولها:

- ربما كان من الحمق ان اسبح بمفردي لكنني ما ازال سليمة كما ترى.

- كان من المحتمل ان تؤذي نفسك فانت تبدين قابلة للعطب. هل تأكلين جيداً؟

- بالطبع. انا نحيلة بطبيعتي.

تساقط بعض الماء من شعرها على خدها فنفضته بيدها ثم اخذت تبحث عن شيء تجففه به. وجدت منديلاً في جيب البرنس فسألها:

- الم تحضري بمنشفة؟

- اني اعصر شعري عادة واتركه يجف من تلقاء نفسه.

- اذن افعلي ذلك واعتبريني غير موجود.

كيف لا تعتبره موجوداً ومجرد قربه ألهب قلبها بالخفقان؟ صبرت حتى انتظمت انفاسها ثم قالت:

- لم اعصر شعري لاني كنت اعتزم السباحة مجدداً!

قال بحبور واسترخاء:

- عظيم، سأسبح معك واحميك من الضرر فلا تحرمي نفسك هذه المتعة.

استدار ثم اختفى في احدى حجرات تغيير الملابس تاركاً اياها في حيرة وتردد. انها بركته ومن حقه ان يسبح فيها ساعة يشاء لكنها لا تشعر بأية رغبة في ان تشاركه حميمية السباحة في ضوء القمر وتفضل قضاء الوقت المتبقي لهما معاً على اساس جدي عملي.

خطرت لها فكرة مفاجئة. نزعت عنها برنس الحمام وغطست في البركة. سبحت بصمت كسمكة نحيلة الى الطرف الآخر وخرجت من الماء

حيث توجد شجرة وارفة تطرح ظلالاً واقية. ستنتظر هنا لبينما ينزل تشيس الى الماء ثم تغادر الحوض فوراً، وهكذا لن يفطن ابداً الى خشيتها من الانفراد به. انه حتماً شعور عصبي ولم يفارقها منذ ان سقطت عن الفرس.

حرك نسيم الليل أغصان الشجرة فارتفع الحفيف وسط الصمت كما لو انه يسخر منها. ثم غرّد عصفور فوق رأسها فاجفلت قليلاً وكان رد فعلها تلقائياً اذ نفضت شعرها الفضي المتوهج كما تفعل عادة في اللحظات الحرجة وهكذا فضحت مكان وجودها. وقبل ان تتمكن من التنفس وجدته قربها! لقد تسلل من خلف حجرات تغيير الملابس ووصل مكانها بينما كانت هي ترقب جهة البركة الاخرى.

مست قدماه قعر الحوض فاتسعت عيناها ذعراً وارتجفت بالرغم من دفء الليل.

ابتسم لها قائلا:

- شعرك لا تخطئه البصر اذ يطفو خلفك كصفيحة من الفضة. لا يمكنك ابداً ان تهربي في الظلام ولديك شعر مميز كهذا.

بدا غير منتبه لارتعادها وعاد يبتسم قائلا:

- تعالي، ماذا تنتظرين يا حوريتي الصغيرة؟ انك سبّاحة ماهرة فهيا نتسابق.

تحداها بطريقة مسلية كسولة وجدت منها قبولاً سريعاً. شعرت انها اكثر اماناً عن ذي قبل، فاومأت برأسها ثم اخذت تضرب الماء باطرافها في اتجاه الطرف الآخر. سوف يتغلب عليها بسهولة لكنها ستنتظر حتى يمر بها ومن ثم تخرج مسرعة من الحوض. الاّ انها تسرعت لسوء الحظ فحين مرّ بها وسبقها قليلاً استدارت تسبح في الاتجاه المعاكس لكنه سرعان ما عاد بدوره وحاصرها. سألها وعيناه تومضان في العتمة كشعرها الفضي:

- اين تظنين نفسك ذاهبة؟

كانت انفاسها تتلاحق فاجابت بخفة علها تقنعه بأنها لا تريد الاستمرار:

- ساخرج من الحوض.

فعلق ضاحكاً:

- الأنك خسرت السباق؟ تعلمين ان الفوز المستمر مستحيل.

قالت وهي تحاول البحث عن افضل طريقة لاقناعه:

- ليس هذا السبب. لكنني سبحت بما فيه الكفاية وحسبتك لن تمانع ان عدت قبلك الى البيت.

- اجل، امانع.

امتدت يداه لتطوقاها واردف:

- لا امانع في انهاء السباق انما في حرماني من رفقتك. كيف لنا ان نتعرف الى بعضنا البعض جيداً ما دمت تهربين مني كلما اقتربت منك؟

- انا لا اهرب منك.

- اجل، تفعلين.

لقد تغيّر صوته، وبدا منشغل الخواطر وهو يعبث بشعرها وكأنه غير شاعر بما يفعل.

قال بشيء من الوعيد:

- يجب ان اضمن عدم ميلك الى الهرب في المستقبل.

لمست الوعيد الخفيف في صوته فتقلصت عضلاتها لاحساسها بانه قد تخطى الدعابة الى الجدية. بدا كرجل يضع نصب عينيه هدفاً مهماً لا تفهم دوافعه اليه. هكذا هو، حين يتوق الى شيء معين لا يتوانى عن تحطيم اية عقبة تمنعه عنه. قالت لاهثة:

- لا بد انك تمزح.

- لا مزاح في ما يتعلق بك. انتهى وقت الدعابة.

حدقت الى خطوط وجهه القاتمة بعصبية حائرة ولم تفطن لتحرك يديه الاّ عندما جذبها اليه بسرعة البرق. شهقت ذعرة:

- تشيس!

لكن احتجاجها أطلق تأوهاً مختنقاً ورفعها بين ذراعيه. حملها من الحوض الى المقعد الصيفي حيث القاها عليه وغمغم بدون ان يفلتها:

- ما اجملك.

عانقها فغامت حواسها وهي تحاول التملص منه.

قال بصوت خفيض:

- اريد ان اتزوجك.

سمعت عبارته وأحست كل مقطع منها يسقط عليها كما الصدمة وتابع

بالهمس اياه:

- اريد ان اهدي كولابرا فتاة مثلك. فتاة عذراء كي تنجب لي حاجتي من الاولاد.

فلّصها خوف لا يوصف فرددت بغباء:

- تتزوجني؟ من أجل كولابرا؟

- هذا ما قلته.

لم يلحظ عينيها المتسعتين بانجفال، وادار فمه ليلثم باطن ذراعها التي سحبتها بسرعة. كانت حركته بطيئة، كسولة تقريباً كما لو انه ربح اكثر من نصف المعركة واعتبر احتجاجها ملغياً. استشعرت افكاره فتثلجت اطرافها. قالت بفتور:

- كلا يا تشيس. لا أظنك تقصد ما تقول، وحتى لو كنت تريد ذلك فعلاً فلا استطيع الزواج منك.

رفع رأسه وحدّق اليها. وقال مداعباً:

- انت حائرة ولم تعي ما قلته يا اليكس، انا لم اعرض الزواج على اية فتاة من قبل ومن المفروض ان يفرحك عرضي. تزوجيني وتحصلي على اي شيء تطلبين. كذلك تحصل امك على صهر مليونير.

- لا تكن سخيفاً!

حاولت ان تدفعه عنها وقالت بحزم:

- كلا يا تشيس. ان كنت جاداً في رغبتك الزواج مني فانا مضطرة الى الرفض.

حدّق بتركيز الى وجهها المتورد والمصمم في آن، وقال ساخراً:

- يا صغيرتي الغالية، هل تدركين قيمة العرض الذي ترفضين؟

- انت تهينني!

قاومت بعنف شديد اضطره الى افلاتها. شتت الخجل تفكيرها وارجف اصابعها اثناء ارتداء البرنس. لم يقدم لها تشيس اية مساعدة بل جلس يراقبها ساكتاً حتى اوشكت ان تصرخ قهراً منه. وردّدت لتنفس عن حنقها:

- انت تهينني!

فانقلب صبره غضباً ابرق عينيه في الظلام وهتف:

- سمعتك في المرة الاولى. انّ اية امرأة اخرى لا يمكن ان ترفض عرضي. يا الهي!

انا طلبت اليك الزواج يا اليكس ولم اطلب شيئاً آخر، على الاقل ليس قبل اتمام الزفاف. كذلك لم احاول معك مع انني اراهن انك سوف تستجيبين بحرارة بعد التجربة الاولى. ليس هناك مطلق شخص يمكنه ان ينكر الامتياز الذي خصصتك به. لقد قدمت لك عرضاً نادراً قد لا تتلقينه مني ثانية.

هتفت بغضب مماثل:

- تريد الزواج مني لكنك لا تحبني. انك تريدني فقط لاسباب تناسلية هذا امر... مقرف!

اجابها مبتسماً بمرارة:

- الحب! ان كنت تنتظرين الحب فقد لا تتزوجين ابداً. لكن دعيني اسألك، هل انت تحبينني؟

- كلا، انما لم اكن انا الذي عرض الزواج!

رد بوقاحة:

- فهمت. لنضع الحب جانباً. اذن ما الذي يقلقك. امك؟

- كلا، انها سترحب بك اشد الترحيب بل ستصفني بالغباء لرفضي اياك. لكنها ليست هنا لترغمني على قبولك. هذه المرة لن اضطر الى الهرب وحيث يمكنني تقرير الامر بنفسي.

قفزت واقفة على قدميها فمدّ يده بحركة آلية ليساعدها. استرخت نظرته المركزة. وقال وشبح ابتسامة تلوح على شفتيه:

- سوف انتظر، لكنني سأكرر المحاولة حتى أثنيك عن عزمك. ستكتشفين قريباً مبلغ عنادي وتصميمي. انا قد نتزوج قبل روبي.

- كلا يا تشيس!

ارتجفت وتكورت داخل البرنس فظن البرد سبب ارتعاشها. اسدلت اهدابها وتابعت قائلة:

- لا اريدك ان تضيّع وقتك من اجلي. لا ابغي الزواج مطلقاً، لقد سئم حلقي ترديد هذه العبارة وسئمت نفسي الحاح امي المتكرر.

- انت مجنونة يا فتاة! انا لست مجرد رجل عادي.

همست بانفعال:

ـ لست مجنونة بمقدار ما أنت مغرور! اسمع، لقد ارهقتني امي لشدة ما حاولت اكراهي على الزواج ولا أريدك الآن ان تكرر المسرحية. حياتي تخصني وانا التي اقرر مسارها. هل لك ان تصدق ذلك؟

ـ اصدق تصديقك لذلك، لكنني لست مقتنعاً بقولك. من اليوم فصاعداً اعتبري نفسك ملاحقة، وهذا ما ينبغي ان تصدقيه! ان لصبري حدوداً وقد الجأ الى الحيل لكنني لن اتخلى عن شهامتي ولذا انا انذرك مسبقاً بما سأفعل.

تضاءلت اليكس في الظلام وشحب محياها وقد احست فجأة بارهاق رهيب غزا روحها بصورة خاصة. كيف لها ان تحاربه ان كان يعني ما يقول؟ تريد ان تكون حرة بلا قيود، وان تقطع بسهولة اية خيوط خفية تربطها الى هذا الرجل. لكنها بين ذراعيه، تشعر انها سجينة، متورطة ومحاطة بخطر عواطفها وعواطفه معاً. قبل دقائق معدودة كانت تحترق مدفوعة بقوى غريبة تعجز عن التحكم بها وعن ادراكها. ان مجرد قربها منه يخل بميزان حياتها وبالتالي سيكون زواجها ضرباً من المستحيل! قالت بهدوء وبنبرة قاطعة:

ـ ابغي العودة الى غرفتي.

رفع رأسه بحدة ثم جمد بلا حراك. لكنها جمدت بدورها بفعل صوته النافذ القوي:

ـ اليكس! من الافضل ان تعطي نفسك فرصة للتفكير. خذي حسنات هذا الزواج بعين الاعتبار. سيكون لك كل ما تشتهين من غال وثمين وبالمقابل لن اطلب سوى مساعدتك في تكريم ضيوفنا. انا رجل دائم الانشغال وسأكون في حاجة ماسة الى مضيفة لكون روبي ستتزوج ولكون عمتي تقدمت في السن. كذلك سأطلب منك اولاداً وانت اول امرأة اطلب منها ذلك.

اولاد لتشيس مارشال؟ جف حلقها وتقلصت اعصاب معدتها كالكماشة. نظرت اليه ملتهبة الوجنتين وقالت:

ـ لم لا تسأل الآنسة وايلد؟ أنا اكيدة انها ستتحفك باطفال رائعين.

اجابها برأس عنيد شامخ:

ـ انا اعرض الزواج عليك لا على الآنسة وايلد. أوصيك بأن تتذكري هذا.

ـ جوابي لن يتغير.

هربت منه تركض على العشب الندي ودخلت البيت. خيل اليها انها تسمع وقع قدميه خلفها ثم ادركت ان قلبها هو الذي يتخبط خافقاً بين ضلوعها.

في الصباح التالي اثناء تناول الافطار، علمت ان تشيس سيذهب الى ماونت آيزا. خف التوتر الذي قلصها طوال الليل حين تصورت يوماً كاملاً بدون وجوده. لكن ارتياحها لم يدم طويلاً بل تحول الى يأس حين ابرزت العمة هارييت قائمة مشتريات ورجت اليكس ان تذهب معه لابتياعها. قالت ان معظمها حاجيات اضافية لحفلة الخطوبة، وستكون شاكرة لها جداً ان قامت بهذه المهمة.

بعد ذلك خرجت الآنسة مارشال بسرعة لتتشاور مع مديرة المنزل فرفع تشيس رأسه عن رسالة شخصية وردت في بريد الصباح. وسألها:

ـ لا اخالك تفكرين في رفض طلبها؟

احست كفأر في مصيدة فاجابت محتدة:

ـ لا ادري بأية طريقة استطيع الرفض.

اثناء تناول الفطور تصرف تشيس كعادته دائماً بيد انها لم تطمئن كلياً الى هدوئه الظاهري. راح الآن يتفحص وجهها ولا سيما الظلال السوداء تحت عينيها. وفكرت اليكس في نفسها، انها تفضح سهدي، وغروره سيزين له اني ارقت بسببه. سمعته يقول بلطف:

ـ هناك حوانيت راقية في ماونت آيزا. بوسعك ان تبتاعي ثوباً للحفلة.

أجابت مشيحة عنه:

ـ لدي ثوب يليق بالمناسبة.

ـ دعيني ابتاع لك ثوباً آخر. سأختاره معك ان شئت.

ـ وماذا سيقول الناس عنا؟ كلا! شكراً.

ـ لكنك ستأتين معي؟

ـ وهل لدي خيار آخر؟

ـ ليس هناك من يضاهيك في اظهار الحماسة! هل انا سبب وجومك؟

- كنا نتحدث عن رحلة الى المدينة.

- احقاً؟

حدقا الى بعضهما البعض كخصمين لدودين والى ان خفضت اليكس بصرها امام سلطته غير القابلة لأية مناقشة. نهض واقفاً برشاقة وقال بتكاسل:

- لا موجب لقلقك فالرحلة ورفقتي قد تسرانك اكثر مما تظنين. كوني جاهزة في نصف ساعة.

٦ - عروس بالاكراه

تعتبر ماونت آيزا ، الواقعة على ضفاف نهر لايكهارت ، واحدة من أهم المدن الصناعية والتجارية والادارية في الشمال الغربي لمقاطعة كوينزلاند ، فهي تشتهر بمناجم النحاس والرصاص وتؤمن مستويات معيشية عالية وعصرية للعاملين في مناجمها ولعائلاتهم بالاضافة الى مجموعة واسعة من أماكن الترفيه والرياضة - ملعب للغولف ، ساحات لكرة المضرب، ناد للبولينغ ومسابح للتزلج المائي وغيرها . كذلك فيها مدارس وكلية مهنية وحوانيت ملأى بأجمل البضائع والسلع . هذا ما أخبرها اياه تشيس وأضاف ان ماونت آيزا تجذب اليها السياح بكثرة لأنهم يرون فيها صورة لأوستراليا الحقيقية ، وفي كل شتاء تقام مباراة لرعاة البقر تستمر يومين ويتوافد اليها المشتركون من كل انحاء المقاطعة . هبطت بها الطائرة

ثم توقفت على المدرج . رمقها تشيس بفتور وقال بفم مختلج :

- ساصطحبك لأريك المباراة المقبلة . سيكون من حقك ، كزوجة أن تحضريها معي .

أشاحت وجهها عنه وعلقت بحدة :

- متى ؟ في احدى المناسبات النادرة التي ستقضيها في البيت ؟

- هل يعني هذا انك قررت الزواج مني ؟

- كلا . لا يعني ذلك !

لقد اهتز صوتها قليلاً لكنها أحست أنها أوضحت مرماها أما هو فلم تهتز ثقته قيد شعرة وقال مبتسماً بسخرية كما لو أنه يشبهها بذبابة تحاول الافلات من شرك :

- إن كان هذا ما يقلقك فأنا اعتزم التزام البيت معظم الوقت .

تضرجت وجنتاها وقالت بجرأة لم تعهدها في نفسها :

- قلت انك تبغي انجاب أطفال . اعتقد ان ذلك سيستغرق وقتاً طويلاً .

- اتعتقدين ذلك حقاً ؟

ندمت فوراً على كلامها . لماذا تتيح له أن يحرجها بهذه السهولة وأن يحملها على التحدث برعونة ؟ رمقته بنظرة سريعة من عينيها الشديدتي الزرقة وسألته بايجاز :

- متى سنعود ؟

- بعد طعام الغداء . لا أحسبك ستمانعين في تناوله معي ؟

اومأت برأسها متجاهلة نبرته الساخرة وأصغت بانتباه الى تعليماته المفصلة حول المكان الذي سيلتقيها فيه . وعدت بموافاته اليه في الوقت المحدد وتركته وهي تتعمد اظهار اللامبالاة . في وقت لاحق من ذلك الصباح وفيما كانت تنعطف الى زاوية شارع رأته يتحدث مع دافينا وايلد . كانت تضع يدها على ذراعه وتبتسم له وهو يحدق اليها أيضاً ويبادلها الابتسام . توقفت اليكس بحيرة عندما رأته يمد يده ويلمس خد النجمة السينمائية . استدارت غاضبة تسلك اتجاهاً معاكساً وهي تشعر بالغثيان ، ليس لأنه التقى دافينا بل بسبب تصرفه المقيت والمنافي للشهامة والأخلاق . فكيف يستطيع أن يطلبها للزواج وأن يغازل امرأة اخرى بهذه الوقاحة ؟ ان

هذا يثبت انه لا يكن لها أية مشاعر عميقة على الاطلاق !

التقته في الفندق في الموعد المحدد وفيما هما يتناولان غداء فاخراً سألها ان كانت استمتعت بجولتها في السوق فأجابت وهي تواجه نظرته الحادة المتوهجة :

- اجل ، أنت أيضاً استمتعت بوقتك حسبما رأيت .

- ماذا تقصدين ؟

- لقد شاهدتك مع الآنسة وايلد .

لم تعتزم اخباره ذلك لكن لسانها سبق تعقلها ، فمن حق تشيس أن يكلم من يشاء من الناس .

سألها بمرح كسول :

- هل غرت منها ؟

- لا ، لماذا اغار ؟

غطى يدها بيده فجأة فسرت في ذراعها مشاعر وخزتها كالابر وجعلت جانب فمها يختلج بعصبية . جذبت يدها بسرعة من تحت كفه والتمعت عيناها ذعراً حين قرأت في نظرته استنتاجاً للحقيقة . قال بهدوء :

- الغيرة عاطفة جد طبيعية يا اليكس وهي جزء من طبيعة كل فرد .

ثم اردف بتهكم :

- ليلة أمس عرضت عليك الزواج فرفضت طلبي . اليوم رأيتني مع امرأة أخرى فلم يرق لك الأمر .

- لم اقل ذلك .

- لكنه ازعجك ، بل نظرت اليه بعين الاحتقار .

- لم اقل ذلك أيضاً .

- عندما نتزوج . . .

أحست فجأة أن الحاجة يخنقها ويخيفها . . . يا الله ! كيف وأين ستجد القدرة الكافية على مقاومته ؟ همست تفح بحنق :

- لم أوافق على الزواج منك . اخفض صوتك من فضلك !

زال الصبر من عينيه وقال بفم متقلص :

- لن القي سلاحي يا اليكس . أفهمتك ليلة امس اني أحصل على رغباتي بكل الوسائل الممكنة ، حتى لو اضطررت الى استعمال القوة .

هتفت بنبرة متحدية :

ـ لا اخالك تقصد اختطافي ؟

ـ لن أفعل ذلك الا اذا فشلت في وسائلي الأخرى .

بدا متلذذاً برجفة الخوف التي اعترتها وعجزت عن اخفائها . . .

حفلة خطوبة روبي لقيت نجاحاً باهراً . استمتعت بها اليكس غير أنها تنفست الصعداء بعد انتهائها، فهي تحب كولابرا في فترات الهدوء ، وبعض الضيوف مكثوا فيها اسبوعاً بعد الحفلة ، حيث أدركت ما قصده تشيس حول اكرام الضيوف . اجل ، كولابرا مثالية لاقامة الحفلات فقاعاتها كبيرة وغرف نومها واسعة وبعضها يشكل أجنحة كاملة . وفي الخارج توجد الميادين لامتطاء الخيول وحوض السباحة وملعب كرة المضرب والشرفة الشاسعة المطلة على الحدائق الغناء . فيما من الناحية الواقعية ، يتعرف الزوار الى دقة العمل والمهارة اللتين تتطلبهما ادارة الأملاك العريضة . فكرت في والدها بأسى ، انها واثقة أنه سيحب كولابرا مثلما أحبتها هي لأن معظم أبحاثه تتركز على الزراعة .

في خلال الحفلة والأيام التي تلتها استمر تشيس يحيطها بعنايته واهتمامه انما ليس الى حد يثير اللغط والتساؤلات . فلقد رقص مع دافينا وغيرها من السيدات المتألقات اكثر مما رقص معها مما جعلها تأمل أن يكون غيّر رايه في الزواج منها . ان تحفظه الجديد المستمر أوجد لديها اطمئناناً كبيراً جعلها توافق على البقاء لتساعد في الاعداد لحفلة الزفاف التي ستقام أيضاً في كولابرا . ستكون الأشغال كثيرة ولا شك أن مساعدتها مطلوبة ، لا سيما أنّ الآنسة مارشال أكدت لها أنها تتمتع بكفاءة عملية كبيرة بالنسبة الى سنوات عمرها التسع عشرة . انما بالرغم من كل هذا أدركت أن البقاء مفروض عليها لكونها سجينة ذلك الرجل المسيطر .

أما روبي السابحة في الحب والأحلام فكانت توقف معظم وقتها على تحضير جهازها مما لا يتيح لها مجالاً للاهتمام بالمتطلبات الواقعية والمساعدة فيها ، وكل ما استطاعت فعله هو التحدث عن زفافها بلا هوادة . تشيس من ناحيته كان يغيب من البيت لفترات طويلة لانشغاله في المكتب أو في المزرعة . وذات يوم علقت روبي على تصرفه بقولها :

ـ منذ سنوات وسنوات لم يمكث هذا الوقت الطويل في كولابرا . كان

يعتزم البقاء لبضعة ايام فقط . جميعنا مندهشون من تصرفه .

كانت اليكس تصلح قطعة ثياب فأجابتها بدون أن ترفع بصرها عنها :

ـ وكيف يغادر كولابرا وزفافك على الأبواب ؟

ـ لست واثقة من هذا الدافع .

اعترى نظرتها ارتياب واضح وأردفت :

ـ دافينا ما تزال هنا وتبدو مهتمة به كالسابق . أهذا هو السبب ؟ هل قال لك شيئاً عن دافينا ؟

ـ كلا .

اكتفت اليكس بهذا الجواب المقتضب وأحنت رأسها على شغل يديها . تساءلت ، ماذا ستقول روبي لو درت بأن تشيس طلب الزواج منها ؟ لن تصدق بالطبع ، كما لم يصدق اخوها ، وجود مطلق فتاة عاقلة ترفض عرضاً نادراً كهذا ! بعد رحيل الضيوف الآخرين قررت دافينا البقاء بضعة ايام اخرى وبدون أن تساهم في أي عمل سوى عرض جمالها الفاتن . كانت تستيقظ مع الظهر ثم تقضي معظم الوقت عند حوض السباحة ، وتعود في الأمسيات لتزاول عرض جسمها على العشاء وحيث ترتدي أجرأ الأثواب وأقلها احتشاماً بدون أن ينتقدها أحد . ومراراً كادت اليكس أن تحمر خجلاً بالنيابة عنها والى أن تذكرت انها معتادة على الأضواء وعلى اللباس بطرق مثيرة تلفت اليها الأنظار .

وذات مساء قال لها تشيس مداعباً وهو يناولها كأس شراب :

ـ أحاول أن اتصورك مرتدية أحد أثواب دافينا . اغلب الظن انك ستبدين اكثر جاذبية منها .

ركزت بصرها على الكأس الذي يحمله وردت بجمود :

ـ لن اتمكن من خوض مباراة كهذه .

تمنت لو يتركها ويذهب للتحدث مع شخص آخر لكنه بقي الى جانبها وغمغم معلقاً :

ـ لو لبست ثوباً كهذا لخطر لي أن اختطفك .

ـ لم لا تحاول استعمال هذه الوسائل الهمجية مع الآنسة وايلد ؟

ـ آه ، لكن الآنسة وايلد لا تثيرني بمقدار ما تثيرينني .

كانت عيناه تجوبان الثوب المحتشم الذي اختارته لها امها . وفجأة بدا

تشيس نافذ الصبر وقال بضيق مهذب :

ـ شعرك رائع يا اليكس كحرير ذهبي . وقوامك لا يعوزه شيء من الفتنة ، لكني مغتاظ أشد الغيظ من الشخص الذي يختار لك ثيابك .. أهي امك ؟

التهب محياها غضباً واجتاحتها رغبة شرسة في الرد بعنف على نظرة عينيه الوقحة لكن وجود الناس حولها جعلها تتمالك نفسها وتقول بتوتر :

ـ ثيابي لا بأس بها .

ـ كذلك الخبز والزبدة . . . عندما نتزوج . . .

ولحسن حظها قطع عبارته رنين جرس العشاء فغمغم تشيس وهو يقبض بحزم على ذراعها المتقلصة :

ـ اسمحي لي بمرافقتك الى قاعة الطعام .

بالرغم من غضبها استطاعت أن ترى الدهشة ترتسم على وجوه الآخرين . وحين دخلا قاعة الطعام وأفلت ذراعها وجدت أن الموقف يستدعي بعض الايضاح للآنسة مارشال . ولفرط ما أحدثت فيها عبارته الأخيرة من اضطراب اندفعت تبرر ذلك بأول فكرة خطرت لها :

ـ أردت سؤال تشيس عن جياده ، فلديه مجموعة رائعة من الأحصنة الأصيلة . هذا العصر كنت والآنسة وايلد نراقب اندرو بليك وهو يريض احدها ، وقد أخبرت تشيس لتوي كم استمتعنا برؤيتها اذ هي فرصة نادرة لم تتح لي قبلاً .

لم تحسب حساباً لامكانية سماع تشيس عبارتها ، ولم تعرف ذلك إلا حين سمعته يقول بدماثة وبعزم خفي على معاقبتها :

ـ سأعرفك الى كل خيولي في الصباح يا حبيبتي ، شرط أن تستيقظي باكراً .

أحست اليكس ان ثمة شيطاناً يدفعها ، فابتسمت لدافنيا الجالسة الى جانبها وقالت بمكر :

ـ اظن السيد مارشال يوجه اليك الكلام يا آنسة وايلد ؟

سارعت دافنيا الى تصديقها فبادلتها النظر وقالت وعيناها تومضان انتصاراً :

ـ اتعلمين انه منذ مجيئي وأنا اتحرق شوقاً الى تلقي هذه الدعوة ؟ لكن

تشيس صعب المراس جداً .

ثم ابتسمت له باشراق وقد فسرت على الأرجح بريق غضبه الانتقامي على انه فرح ، وأردفت تعاقبه بعذوبة :

ـ يا لغرابة أطوارك يا حبيبي . لم تأخرت في دعوتي الى هذا الحد ؟

لم تقدر اليكس أن تفهم لماذا أظلم قلبها حينما رأتهما ينطلقان معاً صباح اليوم التالي . في الليلة الفائتة تجاهلت تعبير تشيس المكفهر وهنأت نفسها على براعتها في الايقاع به . وهذا الصباح باتت تشك في ذكائها . . . أقرت بتردد انها كانت ستسعد جداً برفقته ، وفكرة أن تشاركه دافنيا متعة الجولة الصباحية المنعشة سرعان ما سحقت شعورها السابق بالانتصار ، وبدأت تحل مكانه قناعة حائرة ومتزايدة بانها لم تدرك بعد مدى قوة الرجل الذي تواجهه . بعد العشاء لم يحاول الاقتراب منها بل جلس في قاعة الاستقبال يرشف الشراب ويتحدث الى الحاضرين الأمر الذي بعث فيها ضيقاً رهيباً لم تفهمه .

التقت روبي المتوجهة الى حوض السباحة حيث استوقفتها لتسألها :

ـ ما رأيك أن تشاركيني السباحة يا اليكس ؟ عمتي هارييت ما تزال في فراشها ولن تحتاجك قبل ساعة على الأقل ، أما تشيس فقد ذهب مع دافنيا حسبما رأيت . أعتقد انهما سيقصدان معسكر التدريب . في أي حال ، لن يعودا قبل الغروب ولذا لن يحتاجك تشيس بدوره .

ترددت اليكس اذ أحست باغراء فاتر يحثها على القبول بيد انها نفضته عنها وأجابت بتصميم ضميري :

ـ وعدت عمتك أن اطبع لها كدسة من الرسائل تحتاج الى توقيعها . هناك أيضاً رسائل لأخيك لم أستطع انجازها يوم امس . اني لست في اجازة كما تعلمين .

لم يبد على روبي أقل انزعاج من عبارة اليكس الأخيرة وقالت بلا اكتراث :

ـ حسناً ، انما لا تدعي الأمر يبدو وكأنه عقوبة فرضت عليك ، فوجودك هنا يظل أفضل بكثير من جلوسك في مكتب خانق في ملبورن . فكري أيضاً في المتع التي ستجنينها من مشاهدة زفاف نادر قد لا تتاح لك الفرصة لأن تشاهدي له مثيلاً في مناطق اخرى .

- هل نسيت بانني لم اشأ المجيء الى هنا من الأساس ؟

بوسع روبي أن تتذكر أشياء كثيرة انما من المناسب لها ، على ما يبدو ، أن تتعمد نسيانها . فقبل بضعة اسابيع فقط وصفت كولابرا بأنها تبعث على الاختناق ! هزت روبي كتفيها بكسل مغناج وقالت :

- لا تأبهي لذلك وكفي عن القلق ! ان زيارتك قد حققت اهدافها ، فهنري مقتنع تمام الاقتناع بأنه تسرع آنذاك في اتهامي . أليس هذا ما يعتقده ؟

- وما شأني انا بكل هذا ؟

- الن يكون رائعاً لو استطعنا الاحتفال بزفاف مزدوج ؟ تشيس ودافينا . الفكرة راودتني فجأة ! ما رأيك ؟ اتظنينهما يحبان بعضهما بعضاً ؟

تهربت اليكس من جواب مباشر فأجابت متعثرة :

- لقد ذهبا في نزهة فقط .

- لا اعرف . منذ بضعة اسابيع أظهر تشيس تعلقاً بها وما لبث اهتمامه أن فتر . لم يلحق بها الى سيدني كما توقعت بل جاء الى ملبورن .

فذكرتها اليكس بقولها :

- جاء وقتها ليتحرى تصرفاتك .

- صحيح . لكنني ما زلت محتارة . فدافينا موجودة في كولابرا وتشيس لم يغادرها بسرعة كعادته . لا بد أن هذا يعني شيئاً . كما أن زفافي ليس الدافع الى بقائه فهو لن يدعه يعرقله عن اعماله . يجب أن يكون هناك سبب آخر لبقائه . انه دافينا على الأرجح وهذا ما اعتقده أنا وعمتي هارييت .

أخيراً وصلت اليكس المكتب وهناك حاولت أن تجمع شتات ذهنها وتفكر بمنطقية . إن كان تشيس قد وقع في الحب ، وهي تشك في هذا بعد الملاحظات التي ابداها حول الموضوع ليلة سبحا معاً ، فعسى ألاّ يكون وقع في حب دافينا . ان مجرد تفكيرها في هذا الاحتمال يثير فيها غثياناً بسيطاً لا تفهم له سبباً ، لكن مشاعرها الخاصة تجاه تشيس معقدة ومتضاربة الى حد يعجزها عن تنسيقها .

رجع تشيس ودافينا الى المنزل خلال العصر ، وبعد ساعة من الزمن غادرت دافينا المزرعة وسط دهشة الجميع . لم يقل أحد شيئاً وبدا أنهم

قرأوا في وجهها المكتسي بغضب بارد تفسيراً كافياً لرحيلها المفاجىء ولتأكيدها بأنها لن تعود لحضور الزفاف .

وفيما كانت روبي تستعد لقضاء السهرة مع هنري قالت لاليكس بجفاف :

- رحيلها يثبت مبلغ خطأي في التحدث عن زفاف مزدوج !

- قد يصطلحان في ما بعد . أقصد اذا كان السبب مجرد خصام بين المحبين .

هزت روبي رأسها وقالت بلا اكتراث :

- اشك في ذلك . استطيع رؤية الأمل الميت في وجه أي فتاة وهذا ما رأيته في وجه دافينا . بوسع تشيس أن يتصرف بمنتهى الوحشية أحياناً .

بدا البيت هادئاً بعد رحيل دافينا ورحبت اليكس بذلك الهدوء . وصل هنري ليصطحب روبي وكانا مدعوين الى العشاء من قبل اصدقاء له في ماونت آيزا . اتفق على أن تنام روبي في مزرعة هنري لتتباحث مع والديه في اليوم التالي حول ترتيبات الزفاف الأخيرة . بعد العشاء أعلنت العمة هارييت انها ستنام باكراً ثم طلب تشيس الى اليكس أن توافيه الى غرفة مكتبه قائلاً باقتضاب:

- أريد التحدث اليك .

كانت تشعر بالارهاق كما حال الجميع ، اذ قضوا واحداً من تلك الأيام المحمومة التي تسبق الأعراس الضخمة . الشغل تواصل بجنون ، فما أن ينتهي عمل حتى ينبت مكانه عملان آخران وهكذا دواليك ، وخلال العشاء لحظت اليكس تأثير الارهاق على العمة هارييت فقررت أن تغتنم الفرصة وتلفت تشيس الى الأمر لدى اجتماعها به في غرفة المكتب . قرعت الباب فقال تشيس من الداخل :

- تفضلي .

فعلت ذلك وأغلقت الباب خلفها . طالعتها جاذبيته البارزة في ثيابه الأنيقة وبدا انه يطل عليها ويغمرها من مكان عال . حدقت اليه محتبسة النفس وهي لا تدري مدى جاذبيتها وسحرها . شعرها الأشقر ينسدل متألقاً على جانبي وجهها الرائع التكوين فيما عيناها الغامقتا الزرقة تعبران عن شعور سجين . سارعت الى القول باستعجال عكس حالتها الذهنية

المشوشة :

ـ عمتك مرهقة يا تشيس . يجب أن تلح عليها بالبقاء يوماً في الفراش .

ـ يا فتاتي العزيزة . اطبقي فمك واجلسي على أحد المقاعد . ان عمتي سترحب بأن تقضي شهراً كاملاً في الفراش بعد انتهاء الزفاف ، أما الآن فلا وألف لا ! قد تكون متعبة لكن هي وحدها التي من المفروض أن تعرف ذلك .

ـ هل تعلم ، يا ترى ، أنها قد تصاب بانهيار ؟

ـ كلا ، لن تنهار . انما ينبغي أن نحول دون ذلك بطرق لبقة .

ـ سأبذل قصارى جهدي .

ـ لم يبق سوى ثلاثة ايام . ستمضي كلمح البصر .

أومأت وعلقت بمرارة :

ـ ارجو أن تكون مصيباً ، فلا أحسبني سأستطيع البقاء هنا بعد اليوم .

رفع حاجبيه استغراباً فطوحت يديها باستسلام وأردفت :

ـ اوه ، أدرك انه ليس من اللائق ان اتخلى عن الآنسة مارشال في وقت احتياجها الي لكني لا ارى اية جدوى من بقائي !

سكب لكليهما شراباً وقال بحزم :

ـ بالطبع هناك جدوى من بقائك وحيث تتدربين جيداً على الاعداد لزفافك اللاحق لزفاف روبي .

أعجزها ارهاقها عن مجادلته فتنهدت وأغمضت عينيها نصف اغماضة . قد يكون تعليقه عادياً لكنها ترجح العكس ، فعيناه تومضان بنظرة هادفة ولا يسعها التغلب على حيويته العارمة . الليلة تعجز حتى عن المحاولة . يجب أن تعالج الموقف بروح الدعابة وتتظاهر بأن تعليقه كان مجرد مزحة :

ـ اعتقد أن عرس روبي قد زودني بتعب يكفيني لسائر أيام حياتي . انها تجربة لا أرغب في تكرارها .

ـ للأسف ، لا يوجد امامك خيار آخر ، الآ اذا أردت ان تعيشي في الخطيئة ، انا واثق ان امك سوف تستعمل هذا التعبير .

ـ اظن الأمر كذلك .

تثاءبت بتهذيب وأردفت وهي تجر قدميها المتعبتين في اتجاه الباب :

ـ لكن لا شيء يدعوني الى القلق ما دمت لا افكر في الزواج أو العيش في الخطيئة .

فاستوضحها بخشونة :

ـ اين تذهبين ؟ قلت لك أن تجلسي .

ترددت في البقاء لكنها عادت الى حيث يقف كي لا يظن بها الجبن . لماذا لم تختلق حجة وتذهب الى غرفتها كما فعلت الآنسة هارييت ؟ قالت بصوت متوسل :

ـ لقد انجزت كل رسائلك . الهذا السبب طلبت رؤيتي ؟

ـ رسائلي ؟ كلا ، ليس لهذه الغاية . اريد أن أعرف ، هل عدت الى رشدك وقررت الزواج مني ؟ لقد اعطيتك مهلة كافية للتفكير . لن أعلن خطوبتنا يوم زواج روبي ، لكن اناساً كثيرين سيبقون في كولابرا بعد الزفاف وستكون مناسبة جيدة لاعلان الخطوبة . وبعد ذلك نتزوج بهدوء ان كنت لا تريدين عرساً كبيراً .

ـ انت مجنون !

قفزت الى الوراء حين وعت كلامه ورأته يلاحق خطواتها المتراجعة كظل اسود . حدقت الى وجهه القاسي وزعقت وقلبها يخفق رعباً :

ـ مجنون ! لا أحد سيصدق انك من دون سائر الناس ، تتصرف بهذه الطريقة المناقضة تماماً لطبيعتك .

ضاقت عيناه بنظرة كاوية عبّرت عن احتقاره لأية فتاة غبية ترفض صفقة ضخمة تتمثل في شخصه العظيم . قال بشراسة مخيفة :

ـ لا تهمني طريقة تصرفي ولا يهمني البتة ما يقوله الناس عني ! معظم الرجال يشذون عن طبيعتهم في مرحلة ما من مراحل حياتهم . احيانا يضطرون الى ذلك وبخاصة حين يتعاملون مع فتاة تافهة العقل على غرارك .

ـ اذن ، الا يجدر بك أن تهنىء نفسك على خلاصك المحظوظ ؟ ما كنت لتستطيع أن تطيق زوجة بلهاء ، ولا تميل اليها حتى ! انا أيضاً لا أودك .

قبض تشيس على رسغها فتراجعت خطوة اخرى . جذب جسمها المتقلص صوبه وأمرها بصوت لاسع :

ـ تعالي هنا ! ان كان علي أن اقنعك بأنك طبيعية تماماً بالرغم من كل

تحفظاتك الغامضة الجامدة فهناك طرق اقناعية افضل من طرق الجدال .

لن تدعه يغزوها بهذه الطريقة ! اذا اختار استعمال العنف لنيل مآربه فلن تستسلم ابداً. صرخت بهستيريا :

ـ كف عن ذلك !

ارتفعت يدها بحركة دفاعية محضة وقد نسيت انها كانت تحمل كأساً . لم تقذفه به عن تعمد انما رأت الشراب ينسكب فجأة على سترته البيضاء الأنيقة . حدقت برعب الى البقعة التي بدأت تتسع على القماش الأبيض فأصابها ذهول وشهقت قائلة :

ـ اوه ! سترتك ! لم أقصد ذلك !

ـ أحقاً ؟

نظر باحتقار الى محياها المصعوق وكأنه يفكر في جريمتها النكراء وليس في خسارة السترة . قال بحنق :

ـ لنلوث ثوبك أيضاً كي نتعادل في الخسارة .

شدّها الى جسمه بعنف متعمداً معاقبتها وايلامها فشعرت اليكس بالغرفة تدور بها فغصت وشهقت كغريق صغير لا حول له ولا قوة . تملكها غضب غمر كيانها فراحت تلكم كتفيه بقبضتيها . اعتقلها بشراسة وهمس بصوت أبح :

ـ لقد استمتعت بلحظة انتصارك والآن جاء دوري .

ـ كلا !

وبتصميم فجائي دفعته عنها بقوة فارتخت ذراعاه وأصبحت حرة . وبحركة تلقائية ارتفعت يدها وصفعته على خده . رأت غضبه يتأجج فاستعدت برعب لمواجهة نقمته العارمة . اطلق شتيمة مختنقة فهربت تتعثر على البلاط الملمع . أخذت ترتقي الدرج العريض الذي بدا لها بلا نهاية ، ولم تستطع أن تتأكد من مصدر الدوّي في اذنيها ، أهو خفقات قلبها أم وقع قدميه خلفها ؟ تماوجت الأضواء متراقصة وهي تحاول توسيع المسافة بينها وبينه فيما حاولت اقناع نفسها بأن ذعرها ليس في محله فتشيس مارشال رجل محنك عاطفياً ولن يرضى على نفسه أن يلاحق فتاة بهذه الرعونة ويميتها من الخوف !

احتمت بغرفتها متقطعة الأنفاس وهنا ارتعبت اذ رأته يدخل وراءها

ويغلق الباب . لقد نزع سترته انما بقي مرتدياً قميصه الملوث الصدر . شقه بعنف مقتلعاً أزراره وهتف :

ـ عليك أن تعتذري ، وان لم يرق لك مشهد رجل عاري الصدر في غرفتك فخبرلك أن تسارعي في الاعتذار . لا انوي قضاء الليل في قميص مبلل !

هتفت وعيناها تتأججان وسط وجهها الصغير :

ـ لست مدينة لك بأي اعتذار . اخرج من هنا !

ـ أوتحسبين انني سأدع الحادثة تمر دونما اعتذار ؟

تملكها الذعر فغصت بريقها . انه رجل شهم ، رفيع المقام ، سيد على كولابرا وعلى امور اخرى كثيرة لا يعلمها الا الله ! لم تتوقع أبداً أن تراه ملتهب الغضب كما هو الآن ! قالت شاهقة :

ـ انك تصنع من الحبة قبة !

ـ وأنت تتعمدين استفزازي والله يعلم أن لدي من المشاغل ما يكفيني . لا توجد هناك فتاة عاقلة ترفض العرض الذي قدمته .

ـ لا ريب انك تعزي نفسك بهذا التفكير .

ـ اخرسي ! كفي عن الكلام والاّ . . .

لم ينتظر التلفظ بتهديده بل جذبها اليه بشراسة . كان يعتقلها بقبضة حديدية وكأنه صمم هذه المرة على عدم افلاتها .

أصابها غضبه الساحق بضعف وارتجاف ، وهكذا ، حين رفع رأسه أخيراً استلقت عاجزة . المعركة أقوى منها ولا يمكنها الاستمرار فيها . تمرد ذهنها على عواطفها الاّ أن قوة عاطفتها أذهلتها . اصابعه خدشت جلدها الناعم حين رفع وجهها اليه وقال بحزم وايجاز :

ـ اريد وضع حد لهذه المناورات السخيفة فما عاد لدي صبر ولا وقت للاستمرار فيها .

ارتجفت على رغم منها وهمست :

ـ لن تستطيع اشعاري بالذنب . انت الذي يجب أن تحس بالذنب لوجودك في غرفتي .

اجابها هازئاً :

ـ ما عاد ضميري يؤنبني على شيء كهذا . كان ذلك في الماضي ، اما

الآن فلا .

توهجت عيناها بفعل عاطفة غامضة وهتفت بنزق :

ـ لا شك أنك تفعل ذلك . انما ليس هنا ، فلا أحسب انّ الأمر يصل بك الى اهانة الفتيات اللواتي تستضيفهن اختك في كولابرا ؟

ـ اذن اصبح حبي اهانة في نظرك ؟ اخيراً بدأنا نتوصل الى الحقيقة !

لف يده حول عنقها النحيل وأردف بلهجة استفزازية :

ـ هيا ، اخبريني المزيد . ماذا لديك من آراء اخرى تفسد ذهنك الضيق ؟

ـ ثق ان ليس فيها ما يرضي غرورك ؟

ـ دعيني اخبرك الى أي مدى ساهم رفضك في احداث هزيمتك . عندما رأيتك لأول مرة لم اهتم بك جدياً . لكن نظرتي تغيرت الآن .

لم تدرك قصده لفرط حيرتها الذهنية . حدقت اليه بذهول ذعر ولما يئست من قدرتها على الفهم قالت لتستر انخذالها :

ـ انك تبالغ يا تشيس . لقد سمحت لفكرة بسيطة بأن تنمو وتكبر في ذهنك حتى تجاوزت حدود الواقعية . ليتك تفكر في الأمر قليلاً .

جمدت اصابعه على عرق عنقها النابض وقال وهو يحوّل بصره عليه بوقاحة :

ـ أتقصدين انني قاصر عن الادراك ؟ عندما التقيتك لأول مرة أردتك ومنذ ذلك الوقت وهذا الشعور يتنامى في داخلي .

تهدلت لفرط اعيائها انه اقوى منها بمراحل . ربما خير لها أن تصمت لكن كيف تصمت وبريق عينيه ينذر بالخطر ؟ توسلته بصوت مرتج

ـ عليك أن تخرج من غرفتي .

ـ ليس الآن . بوسعك أن تحتمليني لبعض الوقت .

ـ تشيس ! انت مجنون !

شدها اليه مجدداً وحملها بين ذراعيه قائلاً بسخرية :

ـ ان كنت فقدت عقلي فلم لا تشاركيني جنوني ؟

أحست انها معزولة عن العالم ، وسمعته يهمس بصوت اجش :

ـ اريدك يا اليكس ! انك تعذبينني . . . انت ايضاً تريدينني .

ـ اريدك ؟

دوّت كلماته في سمعها انما استعصى عليها فهمها . قد يكون على صواب . . . فهذه الدوامة العاطفية لا تكذب . لكن تشيس لا يحبها ، وهذه الحقيقة تسطع في ثنايا ذهنها المستعر كضوء أحمر يشير الى مكمن الخطر . انحنى عليها فتمسكت بكتفيه العريضتين . شعرت كما لو أنها تغرق وترحب في الوقت نفسه بالغوص تحت الأمواج التي باتت تتقاذفها وتطغي عليها . وفجأة اصبحت وحدها وسمعت تشيس يهمس بعنف :

ـ انهضي .

لقد ابتعد عنها ورأته يدفن وجهه في الوسادة ويقلص يديه فوق رأسه .

بعد لحظات قصيرة ، وفيما كانت تحاول الامتثال لطلبه نهض واقفاً على قدميه وتناول قميصه قائلاً ببرود :

ـ احمدي الله على اني اريد اعطاء كولابرا عروساً طاهرة . سأظل عند كلامي شرط ألاّ تستمري في عنادك .

الاحتقار في صوته والذي افهمها بوضوح أنه كان قادراً على امتلاكها لو اراد ، حول خزيها الى غضب ، فهتفت بتهور :

ـ لن أتزوجك أبداً . فجهلي العاطفي لا يمكن أن يرقى يوماً الى مستوى مهارتك الفذة !

جلس على حافة الفراش وشرع يزرر قميصه بأصابع ثابتة . قال لها بازدراء باتر :

ـ الجاهل يتعلم . كلنا علينا أن نبدأ التعلم من نقطة ما . اذا كان هذا كل ما يقلقك فنصيحتي اليك أن تطمئني . ان المعدل الذي تسيرين فيه سيمكنك من التفوق علي قريباً .

ـ ارجوك ! اخرج من غرفتي !

٧ - حملة مركزة

استقرت نظرة تشيس على وجهها الغاضب قبل أن ينهض مجدداً ويسير خارجاً من غرفتها . شعرت بحنق شديد من غروره العنيد فودّت لو تقذفه بشيء قريب . لقد رفضت الزواج منه وستمضي في رفضها ، ولن يضيره أن يتعذب ويتعلم معنى التوق الى المستحيل !

خف غضبها بالتدريج فاستلقت على الوسائد . كيف سيكون شعورها اذا خرج تشيس من حياتها مهزوماً ؟ أحست بشيء يقبض على قلبها ويمزقه نتفاً .

مع اقتراب يوم الزفاف وازدياد مشاغلها فكرت اليكس أنه من الأسهل عليها أن تتناسى امر تشيس ، انما اتضحت لها صعوبة ذلك بسبب ظهوره المتواصل قربها وحولها . حسبت في البداية أنّ التقائها المتكرر يحدث صدفة

وحتى أدركت انه لا يؤمن بشيء اسمه الصدفة ، وان الامور تحصل حسبما يخطط لها وليس لأنها من فعل القدر .

كان ينضم اليها والى روبي عندما تشربان القهوة على الشرفة ويظهر بانتظام في مواعيد الغداء وحيث يحصر اهتمامه بها ويقول أشياء عابرة . لكن عينيه استقرتا اكثر من مرة على وجهها الرائع الجمال وفي احدى المرات خاطبها بكلمة « حبيبتي » أمام الحاضرين . في الواقع ، حصل ذلك أثناء جدال ، ونطقها بلهجة ساخرة . أحست وقتها بروبي تلتفت اليها بسرعة وبالآنسة هاريت تحدّق فيها باستغراب لكن نظرة تشيس بدت ليّنة ومتسلية قليلاً وراء بريقها القاسي . سجنها آنذاك بعينيه فأخذت نبضاتها تتسارع . عبثاً حاولت ازاحة بصرها عنها ، ولم يطلق سراحها الا حين سارعت الآنسة مارشال الى أخذ رأيه في مشكلة بيتية بسيطة .

عدا ذلك لم يظهر أي تقرب فعلي نحوها حتى يوم زفاف روبي وحيث لم يفارق جنبها لحظة واحدة الأمر الذي بدأ يثير الانتباه . الآن صار يناديها « حبيبتي » بكثرة وعلى مسمع الجميع . كرهت سماعها ، ولما ضاقت بها ذرعاً وأنبته عليها بعنف قال لها ساخراً :

- ألست مسرورة لكونك تسرقين بعض الأضواء من حول العروس ؟
- كلا ، فما تفعله قد يثير سلسلة من الشائعات غير الضرورية .
- شائعات قد لا يكون فيها شيء من الصحة ؟

حدّق باعجاب الى صورتها الرائعة في الثوب الجديد الذي أرسلته لها امها بناء على طلبها ، وقد بدت فيه الآن غاية في الجمال والاغراء ، وهي لا تدري . تمعن تشيس في قوامها الممشوق وخصرها النحيل ثم ركز بصره على ذلك العرق النابض في عنقها وقال :

- جمالك في هذا الثوب يذهب بصواب أي رجل .

لم يسعفها ذهنها برد مفحم فهتفت :

- اني اكرهك !
- اذن سأجعلك تكرهينني أكثر .

اعتقل ذراعها وجرّها معه . كان عقد الزواج قد تم فلحقا بالعروسين الى قاعة الاستقبال حيث تقام حفلة كبرى . تجلت روبي كعروس وأجمع الكل على ان ثوب الزفاف قد كلّف ثروة صغيرة . كان من الساتان الأبيض

الثقيل التطريز وقد انسجم تماماً مع سمرة روبي الجذابة . بدا هنري وسيماً وسعيداً وهو يرفع ذيل ثوبها بطريقة مرتبكة كي تستطيع الجلوس براحة . حوّلت اليكس بصرها الى تشيس وكأنها تقارن بين الرجلين بخجل . فاتضح لها الفارق الكبير بينهما من حيث الوسامة والهيبة . اذ بدا تشيس فائق الجاذبية في لباسه الأنيق مما جعل اهتمام النساء في الحفلة يتجه اليه اكثر من اتجاهه الى العروسين . كذلك وجوده المستمر الى جانبها جعل نظرات الكثيرين تتجه اليها بارتياب مما أشعرها بامتعاض عميق ، وزاد الطين بلة انه لم يبد أي استعداد لانقاذها من هذا الموقف المحرج . لقد استعانوا بمؤسسة شهيرة تؤمن الخدمة الكاملة في الحفلات المنزلية ، وهكذا استراحوا من هذه الناحية . كانت الموائد مهيئة بجمال والطعام والشراب من أجود الأصناف . كل شيء متقن ويليق بعرس يقيمه آل مارشال وليس هناك أي شيء من شأنه أن يثير الانتقاد . وفكرت اليكس بسخرية وهي تسترق النظر الى تشيس من تحت اهدابها الطويلة ، اذا حصل أي تقصير فلا شك انه سيقطع رأس المسؤول عن الخطأ ! هو رجل لا يتوانى عن ابتياع الأفضل ويتوقع الأفضل وكان الله في عون من يسلمه بضاعة مغشوشة ! تنهدت ونظرت بعيداً عنه الى السرداق العريض . التقى بصرها ببصر عانس كهلة كانت تبحث ، على ما يبدو ، عن مشهد اكثر تشويقاً من مشهد عريس وعروس . ابتسمت لاليكس قائلة :

- عسى ان نفرح بك قريباً يا عزيزتي .

ولما اكد لها تشيس بحزم أن ذلك سيحصل شهقت السيدة بصوت مسموع ونظر الحاضرون الى اليكس باهتمام حشري .

اعتراها الحنق فهمت بالنهوض ومغادرة المكان الا أنها شعرت بأصابع تشيس تلتف حول ذراعها وسمعته يهددها بصوت خفيض :

- ابقي حيث انت . اذا هربت فسوف أعيدك بالقوة ولو اضطررت الى حملك .

أجبرها على الجلوس حتى نهاية الحفلة التي طال أمدها اذ تخللتها خطب عدة وشرب انخاب . اكتنف اليكس ضيق شديد لم تشعر له مثيلاً من قبل وخصوصاً انها رأت روبي والآنسة مارشال تتساءلان بصمت حشري عن سبب جلوسها الى جانب تشيس . قالت لنفسها بتمرد ، لا بد أنه الشخص

الوحيد الذي يستمتع بما يفعل ! وحتى عندما وقف أمام المدعوين وألقى خطاباً قيّماً أحست بنظراته تتسلط عليها اكثر مما يجب . انحنى يشكر الحضور على تصفيقهم الحار ثم عاد يجلس قربها فقالت له وأعصابها الثائرة ترجف صوتها :

- انت تفعل هذا عن تعمد ! لا ادري ماذا تعتزم . . .

فقاطعها ببرود محدقاً في عينيها الزرقاوين :

- اعتزم الزواج منك بطريقة أو بأخرى كما أخبرتك سابقاً . وان لم تتزوجيني في خلال اسبوع فسوف ترين ما سيحل بك قريباً . جميع الناس يحبون أن يراقبوا حبيبين جديدين يا عزيزتي لكنهم يحبون أن يراقبوا اكثر فتاة مرفوضة من حبيبها .

- في هذه الحال سأدعهم يعلمون أنني أنا التي رفضتك .

ابتسم ورد بخشونة لا تنم عن أي حب :

- أحقاً ؟ ومن سيصدق زعمك ؟ أترين هؤلاء السيدات ؟ اذا استطاع بعضهن أن ينشب مخالبه فيك يا حبيبتي ، فسمعتك ستصبح أشلاء مبعثرة . في هذه الحال ، ماذا ستقول امك ؟

- انت شيطان !

- اذن ، سأكون زوجاً مثيراً !

- لا اريد زوجاً من أي نوع كان .

رق ملمس يده على ذراعها وقال وأصابعه تداعب جلدها الناعم :

- بل تريدين واحداً . من الخير أن توقظي نفسك يا اليكس قبل فوات الأوان . أقول لك بجدية تامة أن فيك عواطف قابلة للالتهاب السريع ، وقد تحرقين نفسك في يوم ما مع رجل غريب . اعلم هذا من خلال معرفتي الخاصة بك . أتذكرين ؟

ارتعشت وسلخت بصرها المعذب عن بصره . . . الآن يحاول ارعابها . ألم يدرك بعد أنها تؤمن بالحب كشرط اساسي للزواج ؟

بعد انتهاء الحفلة بقليل غادر العروسان كولابرا ليقضيا شهر العسل في اوروبا . رافقهما عدد من الضيوف لتوديعهما على المطار فيما بقي سائر المدعوين وحيث استمر الرقص والمرح حتى الفجر . اضطر تشيس ، كمضيف ، الى مراقصة النساء الاخريات لكنه رقص معها اكثر مما رقص

مع سواها . اطل الصباح وهي ما تزال في كامل حيويتها ورونقها وكأنها زهرة ندية تموج في ثوبها الرائع الرقيق وشعرها ينسدل كغيمة حريرية على كتفيها .

غادرا السرادق المكتظ بالناس وأصبحا بين الأشجار قبل أن تعي ما حدث . لم يرخ قبضته العنيدة حتى قطعا مسافة معينة لم تدر كيف مشتها . وقفا في زاوية مظلمة منعزلة من الحديقة . كان هواء الليل دافئاً ومثقلاً بأريج الزهور . تنفست اليكس بعمق لتستمد بعض الشجاعة على مواجهته لكنها شعرت بالعبق القوي يدير حواسها . حاول جذبها اليه فهتفت ذعرة :

- اتركني ! اذا صرخت اطلب النجدة فلا بد أن يسمعني أحد !

- يجب أن نحول دون ذلك .

صرخت فيه محتجة ، لف ذراعيه حولها بقبضة فولاذية فشعرت بعقم المقاومة . لم تقدر أن تفكر الا في نوع واحد من الدفاع ، اذا كفت عن المقاومة فقد يفقد اهتمامه بها . لماذا لا تتعلم أن العكس يحصل دائماً ؟

لم تشأ ان تدعه يشعر بمدى تأثير عناقه عليها فتلوّت بعنف بين ذراعيه . مرر أصابعه في شعرها وحاصر رأسها بكفه العريضة الى أن هدأت واستكانت الى عناقه . خفق قلبها وشعرت بسروره من تجاوبها العاجز لحبه . لقد سيطر عليها منذ البداية ، اجتاح أفكارها ثم سيطر على حواسها .

أحس بضعف مقاومتها فأرخى قبضته قليلاً كي يتيح لذراعيها بأن تزحفا وتلتفا حول عنقه .

وفجأة أبعدها عنه بسهولة حسدته عليها بمرارة . لقد استعاد قوة بأسه المعهودة وبدت على شفتيه بسمة انتصار خفيفة وهو يقول :

- اليكس ، أود كثيراً أن احملك الى عالمي انما عليّ أن اضبط نفسي .

رآها تترنح فسألها بحدة :

- هل انت بخير؟

ولما طمأنته بايماءة خرساء اضاف قائلاً :

- اود أن أهدي ضيوفنا خبراً سعيداً يتناقلونه ، فهل أعلن خطوبتنا غداً ؟

هتفت تجيب تلقائياً :

- كلا ! لا يحق لك أن . . .

فردّ بغضب ألهب عينيه :

- لا بد أن ترضخي لي في وقت قريب .

ضحك بخشونة وهما يستديران عائدين الى البيت . لم يكترث لوجهها الشاحب وخطواتها المرهقة وقال متوعداً :

- ان لم توافقي فسوف أجد طريقة لارغامك . قد تجدين نفسك في يوم قريب مضطرة الى قول نعم .

تمتمت بتعاسة :

- قلت ذلك قبلاً .

فرد بوحشية :

- لا ضير من الترداد .

انقضت الحفلة بعد ذلك بقليل مع أن كثيرين لم يفكروا في الايواء الى فراشهم . كان البيت مليئاً بالضيوف الذين سيمكثون لبضعة أيام ، وبدت غرف النوم وكل الأماكن الفارغة مكتظة بأناس يحاولون الاغفاء لساعة من الزمن . كان هناك آخرون تخلوا عن فكرة النوم وتناولوا الافطار ثم اظهروا قدرة تامة على استقبال يوم آخر مما جعل اليكس تستغرب حيويتهم العجيبة . ولطالما استغربت ايضاً حيويتها الخاصة لكن ما ان شارف الاسبوع على الانتهاء حتى بدأت تتساءل عما تبقى لديها من طاقات . بعد رحيل جميع الضيوف ألح عليها تشيس بالاستراحة لبضعة ايام فلم تشعر بأقل ميل لمجادلته لفرط شعورها بالارهاق . كانا يتناولان القهوة مع الآنسة مارشال في قاعة الجلوس ولما طرح عليها تشيس اقتراحه ابتسمت له بامتنان ولم تقل شيئاً . تأملتها العمة هارييت بحنان وعلقت قائلة :

- لقد قمت بأكثر من واجبك وساعدتنا كثيراً يا عزيزتي . في رأيي أن مساعدتك ساهمت الى حد كبير في انجاح حفلة الزفاف .

وقال تشيس لعمته بقصد أن يغيظها هي :

- ما ان تمضي بضع سنوات على وجود اليكس هنا ، حتى تكتسب سمعة رائعة . ربما في وقت اقصر ، اذا وافقت على البقاء .

فأشرق وجه العمة هارييت وعقّبت :

ـ ليتك تبقين يا عزيزتي ، فقد بدأت أدرك قيمة وجودك كمعينة عامة . السيدة ياونغ ماهرة في عملها انما لا يمكنني الاعتماد عليها في أشياء اخرى ككتابة الرسائل واستقبال الزوار . ثم ان لديها ما يكفيها من اشغال .

أحست اليكس مجدداً انها في مصيدة فقالت بوهن :

ـ يؤسفني اني لا استطيع المكوث مدة أطول .

من الصعب أن تخيّب رجاء الآنسة مارشال وتقول انها مضطرة الى الرحيل الفوري ، وهذا بالطبع ما يجب أن تفعله . صحيح أنها لم تشاهد كولابرا كلها وقد لا تشاهدها أبداً . لكن ضرورة ابتعادها عن تشيس بدأت تتزايد يوماً بعد يوم . فمنذ زواج روبي سألها مرتين أن تتزوجه ورفضت . في المرة الثانية أرعبها غضبه الجليدي حتى خيل اليها أنه سيفقده عقله الاّ أنه تمالك نفسه وبدا عازماً على تنفيذ قرار معين لم تقدر أن تحزر ماهيته . ذكرى نظرته المخيفة لازمت مخيلتها وازداد شعورها بالخطر يوماً بعد يوم . بدت العمة هارييت غير مقتنعة بجواب اليكس ثم تركتها لتتشاور مع السيدة ياونغ في شؤون البيت . وما لبث تشيس أن فاجأها بقوله :

ـ يجب أن تبقي هنا لبينما أعود .

تساءلت لماذا راح يرقبها كقطة تترصد فأراً وسألته متعثرة :

ـ لبينما تعود ؟ لم . . . لم أعرف أنك ستسافر .

نهضت من مكانها قلقة فتقدم منها وقال مبتسماً بتقلص :

ـ الم يخبرك أحد ؟ سأذهب الى سيدني ، وأرجو أن أتمكن من العودة يوم الخميس .

قالت وهي تحدق اليه بقلب خافق :

ـ يمكنني الذهاب معك الى بريسبين ومن هناك استقل الطائرة الى ملبورن .

ـ كلا ، لن تذهبي الى أي مكان . ستكونين في استقبالي لدى عودتي ، وان اطعت كلامي فقد آتيك بمفاجأة .

اذن ، ظنها كان في محله ! انه يخطط شيئاً ما ! اتسعت عيناها بيأس متزايد وقالت :

ـ لا اريد مفاجأة اريد فقط أن أرحل . متى ستذهب ؟

ـ فوراً ، فأندرو ينتظرني في حقل المطار .

ـ الآن ؟

أكد لها بفتور ، وكأنه يهزأ من محاولتها الصامتة في ايجاد طريقة لافساد خطته :

ـ اجل ، سأذهب الآن . بوسعك أن ترافقيني الى حقل المطار انما لن تذهبي الى ابعد من ذلك .

وافقت على اقتراحه وهي تنوي استغلال الدقائق القليلة ، المتبقية ، لتبحث في خلالها عن طريقة ما تجعله يغير رأيه . سألته :

ـ لماذا لم تخبرني مسبقاً ؟

ـ كيلا تضايقيني أكثر مما تضايقينني الآن بأسئلتك . هذا أول يوم هادىء نقضيه معاً منذ اسابيع .

كان اندرو قد وضع حقيبة تشيس على المقعد الخلفي لسيارة الجيب وهكذا رفعها تشيس وأجلسها بينه وبين اندرو ثم انطلقوا . لم تجرؤ على الاعتراض ، كذلك لم تقل شيئاً حين وضع كتفه على ذراعها بحجة اسنادها في حال مالت بهم السيارة فوق الأماكن الوعرة . ثم هبطت يده الى خصرها فتملصت منها ورأته من طرف عينيها يبتسم بشماتة . كانت الطائرة الصغيرة في انتظاره وهنا أدركت اليكس ان لا امل هناك في فعل أي شيء ! في الروايات فقط تستطيع البطلة أن تختبىء في الطائرة ، انما ليس هي . كان تشيس يراقبها بدقة ويقرأ أفكارها وما عتم أن هز رأسه مؤكداً لها استحالة ما تفكر فيه . غمر كتفيها بذراعيه مجدداً وقال محدقاً في عينيها الخائفتين :

ـ هيا ودّعيني .

احنى رأسه فأحست بأندرو بليك يشيح عنها بكياسة فازداد امتعاضها لكون تشيس يتقصد احراج موقفها . خير لها أن تعانقه من أن تبدأ معه معركة جديدة . وكي تنتهي بسرعة رفعت له وجهها كطفلة مطيعة أبعدها عنه أخيراً ثم قال وعيناه تستعران :

ـ ومع ذلك تصرين على الرفض !

ابتعد عنها فجأة وأخذ يكلم اندرو فيما بقيت كلماته الهازئة ترن في

اذنيها .

في الأيام القليلة التالية وجدت صعوبة في التركيز على مطلق شيء مع أنها اقنعت نفسها بوجوب ارتياحها لغيابه ثم اتضح لها أن العمة هارييت كانت على علم برحلة تشيس انما بررت صمتها بأنها لم تجد موجباً لذكر الأمر . لم تدر اليكس هل تصدقها أم لا ، فأحياناً ينتابها احساس اكيد بوجود مؤامرة كبرى تحاك ضدها .

خطر لها مرة أنه قد لا يكون هناك مايمنع هروبها من كولابرا في غياب تشيس ، فهي لا تعرف نوعية التعليمات التي أوصى بتنفيذها لكنها متأكدة أنه لم يصدر أمراً صريحاً يقضي بمنعها من مغادرة المزرعة . ومع ذلك أهابت بها الغريزة أن تتحقق من الأمر ، وهكذا توجهت الى العمة هارييت وبدأت أولى تحرياتها بقولها :

ـ اود ابتياع بعض الأغراض من ماونت آيزا ، فهل يمكنك الاستغناء عني لبعض الوقت ؟

أنبها ضميرها على هذا الخداع انما لم تر أمامها وسيلة اخرى . التفتت اليها العجوز بحدة وردت بحذر :

ـ قد استغني عنك انما لا أحسب أحداً لديه الوقت لمرافقتك . اندرو مشغول بتجميع المواشي على ما اظن .

ـ لا موجب لأن يأخذني اندرو بنفسه . اليس هناك أحد سواه ؟

هزت الآنسة مارشال رأسها وقالت بغموض :

ـ ربما في وقت لاحق من الاسبوع . لم لا تسألين اندرو ؟

ـ اذن ، هل لك أن تعطيه أمراً بذلك ؟

فردت العجوز بطريقة غير مقنعة :

ـ اوه ، لا استطيع أن أفعل ذلك يا طفلتي العزيزة .

صممت اليكس على المضي في استقصائها فانصرفت فوراً لترى اندرو ولما أظهر تردداً توسلته بقولها :

ـ الا تقدر أن تجد وقتاً لمرافقتي ؟

ـ آسف ، لا استطيع ذلك قبل بضعة ايام على الأقل .

عندما يعود تشيس ! وبعكس ما ظنت سابقاً بدأ يتضح تماماً انه ترك أوامر محددة !

حاولت اخفاء غضبها وراء ابتسامة ساحرة وقالت بعناد :

ـ لا تقل انك لا تستطيع الاستغناء عن رجل واحد ، فلقد رأيت عشرات الرجال من حين مجيئي .

ابتسم بدفء لوجهها الرائع كوجه ملاك وقال :

ـ وكل واحد منهم لديه ما يفعله . ما رأيك أن نقوم بنزهة على ظهر الجياد ؟ هذا ما أوصاني به الرئيس بنفسه .

ـ كلا ، شكراً . قد يستغرق ذلك الوقت ذاته الذي تستغرقه رحلة الى ماونت آيزا .

خبت ابتسامتها حين تركته ، وكان جوابها الأخير غاضباً .

بعدما سدت منافذ الهرب في وجهها ، وجدت نفسها تفكر في تشيس صبحاً ومساء . وفي ذات يوم ، وهي تتنزه في الحديقة ، أدركت فجأة أنها لم تعد ترغب في الهرب منه ، وذهلت اذ تحققت انها تحبه بعمق . هذه المعرفة المباغتة هزت حواسها هزاً فاضطرت الى الجلوس بوهن . لا تدري متى حصل الحب ، ربما كان موجوداً طوال الوقت ويصارع للاعلان عن نفسه خلف تلك الكراهية التي أقنعت نفسها بأنها تشكل شعورها الوحيد تجاهه . كان يجب أن تدرك في لحظات معينة أن العواطف التي تستشعرها معه لا يمكن أن يكون الكره أساسها . أحست دفئاً يغمر كيانها لدى تذكرها تلك اللحظات وتاقت الى عناقه من جديد . نهضت تقف بتعثر ، وجالت كالتائهة في ارجاء الحديقة حتى وصلت بقعة برية بعيدة عن البيت وحيث فاجأت مجموعة ضخمة من الببغاوات الملونة بوصولها . اليوم ، وذهنها مركز على تشيس وحده ، بالكاد لاحظت جمالها الصاخب . . .

حبها له لن يغير شيئاً . . . صحيح أنه ودّعها بعاطفة قبيل سفره انما بدون حب ، انه مثل امها ، كامل السيطرة ودائم التصميم على نيل مآربه . زواجها منه سيكون مجرد انتقال من رباط الى آخر . والفكاك من الزواج سيكون أشد صعوبة من الفكاك من امها ! انما مع مرور الساعات والأيام ببطء رهيب بدأت اليكس تغير رأيها . انها تفتقده بشكل يائس . . . الليالي تمر عليها طويلة طويلة ، وأحياناً تقضيها في البكاء والأرق . الفراغ يهد أعصابها فينتابها الصداع في النهار وتسوّد عينيها ظلال السهاد . . . وفي حال رضيت أن تتزوجه فلن يكون وضعها اسوأ من العذاب الذي تقاسيه

الآن . كذلك سيتم الزواج بمحض اختيارها ولن تكون لأمها أية علاقة به . هذا العامل سيسهل عليها القبول إن لم تجد القوة الكافية على الاستمرار في رفضه .

أربعة ايام مرت على غياب تشيس حيث لا علم منه ولا خبر . اربعة ايام توقف فيها الزمن بالنسبة الى اليكس وجعلتها تعي مبلغ وحشتها بدونه ، وهذا شيء لم تحسه من قبل . انها تحب المزرعة المنعزلة هذه ودائماً كانت تجد شيئاً يشغل وقتها انما في غياب تشيس شعرت كما لو انها فقدت المحور الذي كانت تدور حوله . وحين بعث خبراً بواسطة اندرو يعلن عودته اجتاحتها غبطة عارمة هزت كيانها . هتفت بفرح ووجهها يتألق كثريا :

ـ كم طال غيابه !

تبادل اندرو والآنسة مارشال نظرة استغراب سريعة ثم أشاحا عنها . قالت العمة هارييت ببسمة خفيفة :

ـ عودته ستكون ممتعة . هل قال شيئاً آخر يا اندرو ؟

حدق اندرو الى السجادة وقال بارتباك :

ـ كلا . . . هذا كل شيء .

استأذنت اليكس بالانصراف وغادرت الغرفة اذ شعرت برغبة قوية في الانفراد . قصدت مكانها المفضل في الحديقة حيث أمضت بعض الوقت ثم رجعت الى المنزل . وفي طريقها الى غرفتها لتغسل وجهها ويديها استعداداً لتناول الشاي ارتطمت بالسيدة ياونغ على الدرج وكانت الأخيرة بادية التوتر على غير عادتها . عجبت اليكس لأمرها فتوقفت تسألها :

ـ هل بك شيء يا سيدة ياونغ ؟ اتريدين مساعدة ما ؟

ـ لا يا عزيزتي . لقد وضبت كل شيء . السيد مارشال سيأتي معه بضيفة صديقة ، فاضطررت الى الاستعجال في تهيئة غرفة لها . دائماً لدينا غرف جاهزة لاستقبال الضيوف في الأحوال العادية لكن المشاغل التي خلقتها حفلة الزفاف حالت دون ذلك .

ضيفة ؟ صديقة ؟ تابعت اليكس طريقها وقلبها يجثم كالحجر في صدرها ، اذن لهذا السبب ارتبك اندرو في جوابه . انها دافينا بالطبع . . . أم انه سيأتي بصديقة اخرى ؟ وفكرت بمرارة ، أبهذه السرعة يستغني عن

قديمه ويتعلق بجديده بدون أن يؤنبه ضميره ؟

بدأت الدموع تسيل على وجنتيها وقد بكت ما يكفيها في الأيام الأخيرة . سارعت الى مسحها وحثت نفسها على التماسك . انتظرت حتى سمعت صوت محرك السيارة . شهقت بألم وأصغت الى اقتراب الصوت والى أن توقف في الخارج . انه اندرو وقد جاء بتشيس وصديقته من حقل المطار . أعقب ذلك صمت فجائي ثم سمعت غمغمة أصوات اكدت لها الحقيقة . خطر لها ان تبقى في غرفتها حتى موعد العشاء الا انها تحكمت في اعصابها وقررت الاسراع في تسوية الموضوع كي ترحل في اقرب وقت ممكن . كانت ترتدي فستاناً صيفياً من الحرير قماشه الرقيق يبرز قوامها الرائع وياقته المقورة جريئة بعض الشيء انما بلا ابتذال . انه من النوع الذي ترتديه عادة في النزهات اكثر مما تلبسه أثناء تناول الشاي لكنها شعرت اليوم بحاجة كبيرة الى شيء يزودها بثقة اضافية .

مشطت شعرها بسرعة وتنهدت بارتياح لمرآه الجذاب . أجل شعرها وقوامها يبدوان اليوم أجمل ما فيها . فيوم امس تألق محياها كالشمس بفعل قرارها الخاطىء أن تتزوج تشيس ، اما الآن ، فيبدو قلقاً شاحباً وبلا روح . قرصت وجنتيها بيأس لتحرك فيهما بعض اللون .

وصلت الطابق السفلي فتناهت اليها أصوات تنبعث من قاعة الجلوس المطلة على واجهة المنزل . توقفت للحظة تحدق الى الباب المغلق . لقد وعدها تشيس بمفاجأة لكنها استعدت لها جزئياً والحمدلله . زرعت ابتسامة جامدة على شفتيها الشاحبتين ثم أخذت نفساً عميقاً وفتحت الباب بهدوء .

عبرت العتبة وما لبثت أن تسمرت في مكانها من هول الدهشة . تمسكت بمقبض الباب بأصابع متجلدة وأحست انها على وشك الاغماء . فالسيدة الجالسة الى جوار العمة هارييت باسترخاء تام . . . لم تكن سوى امها .

٨ـ السقوط المؤلم

وقفت اليكس تحدق الى امها برهبة وقد عجزت عن استيعاب ما تراه. وعت بشكل ضبابي ان تشيس يقف بينهما وأن امها لم تلحظ مجيئها. ثم تقدم منها تشيس بيد ممدودة وقال مبتسماً:

ـ كنت على وشك الصعود اليك لأسألك سبب تأخرك.

تجاهلت يده ولم تبادله الابتسام. شعرت بذهول كبير يمنعها من الرد على أية مجاملة وخاصة في هذا الظرف. سألته بارتياب:

ـ ماذا تفعل امي هنا؟

اقترب منها اكثر وكأنه يرغب في ابقاء الامر سراً بينهما. احتواها بنظرة سريعة وبرقت عيناه غضباً من نبرتها القاسية، كذلك انطفأت البسمة على فمه الجذاب وارتسم ما بين حاجبيه السوداوين خط عمودي تناسب مع

تقلص وجهه الأسمر. تراجعت غريزياً الى الوراء فقال موضحاً باختصار وسخرية:

ـ جاءت بناء على دعوة مني، أما والدك فسوف ينضم الينا في الاسبوع المقبل. كلاهما لم تتح له الفرصة من قبل لزيارة مزرعة كهذه، وأبوك متلهف الى المجيء بشكل خاص.

بالطبع سيهتم ابوها بحكم مهنته لكنّ هذا خارج عن الموضوع! اشتد شحوب وجهها وهي تستوضحه برهبة:

ـ كن صريحاً معي يا تشيس... ليس من عادتك ان تدعو اناساً غرباء لزيارة المزرعة كي تعرفهم الى المناطق النائية من اوستراليا. لديك سبب آخر لدعوة أبوي، أليس كذلك؟

ـ قد تكونين انت السبب. الم تراودك هذه الخاطرة؟

أحست نفسها محشورة في زاوية. لم تفهم قصده تماماً فقالت وهي تضغط بيدها على رأسها المصدوع:

ـ جئت بأمي الى كولابرا كي تجعلني اتزوجك بالقوة.

شحب وجهه حتى حاكى وجهها تقريباً وهتف بخشونة:

ـ بحق السماء يا اليكس! لا ادري أية ظنون سوداء تساورك عني انما لا يجوز ان نتجادل هنا.

استدارت امها فلمحت ابنتها الشابة. ابتسمت بسحر ومدت لها يديها هاتفة:

ـ اليكس حبيبتي. تعالي وقبليني. الم تدهشك رؤيتي؟ أخبرت السيد مارشال انك ستدهشين لكنه قال انه وعدك بمفاجأة.

ـ وقد فعل. كيف حالك يا امي؟

بدا على محياها اذعان غريب حين تقدمت من امها ببطء واستسلمت لعناقها الودود، هكذا امها دائماً، تحب المواقف المسرحية وتستمتع بالتظاهرات العاطفية أمام الناس.

قبلتها أنيد لاثام على خدها وأجابت وهي تسوي شعرها المصفف باتقان:

ـ في أفضل حال يا حبيبتي.

في سن الخمسين تبدو انيد لاثام اصغر من عمرها بعشر سنوات لفرط

محافظتها على بشرتها ولياقتها البدنية. دائماً تلبس اجمل الثياب واكثرها اناقة، تبتاعها من مالها الخاص كما يحلو لها ان تكرر على مسمع زوجها المسكين، ودائماً شعرها مصفف بأناقة فائقة. حتى العمة هارييت أعجبت بمظهرها الفخم، وعلمت اليكس في ما بعد ان امها قد ورثت ثروة اخرى عن احد اقربائها النافذين. اجل، ان انيد لاثام تعرف كيف تستفيد من مالها بحيث تظهر للعيان بمظهر المرأة العريقة المحتد والجمال. هزت رأسها بحزن وقالت تعاتب اليكس:

ـ انت طفلة ماكرة بالفعل! لماذا لم تخبريني عن هذا المكان الرائع؟ لم نتلق منك سوى رسالة واحدة طمأنتنا فيها عن وصولك. لكنك لم تذكري العنوان!

اجابتها بطريقة مراوغة:

ـ ما... ما حسبت وقتها اني سأمكث هنا طويلاً.

عادت انيد تبتسم وتقول باشراق:

ـ لا عليك، فالسيد مارشال شرح لنا كل شيء. كان غاية في اللطف وكرم الاخلاق اذ قام بكل الترتيبات وجاء بي في الطائرة الى هنا.

ثم استدارت الى العمة هارييت واضافت:

ـ لساني عاجز عن التعبير عن اعجابي الشديد.

كيف تقدر امها ان تمثل بهذه البراعة؟ ان تصرفها المغلف بالحلاوة يشعرها بالغثيان أحياناً! لم تكن لتصدق بأن الآنسة مارشال يمكن ان تنخدع بمظهر امها، انما ها هي تنظر الى انيد باعجاب وسرور وكأنها تتطلع بشوق الى الاسابيع القليلة المقبلة. تقبلت مديح انيد لكولابرا كتحصيل حاصل وامالت رأسها الشائب قائلة:

ـ معظم الناس يدهشون لروعة المكان في زيارتهم الاولى له.

ثم سألت اليكس بلهجة معاتبة:

ـ هل لك ان تسكبي الشاي يا عزيزتي قبل ان يبرد؟ كنا ننتظر قدومك.

امتثلت اليكس بتردد، وجلست على الاريكة الصغيرة القريبة من صينية الشاي. اجفلت حين جلس تشيس الى جانبها لكنها لم تنظر اليه.

اعتذرت للعمة هارييت عن تأخرها وقدمت الشاي للسيدتين ثم لتشيس. ارتجفت يداها قليلا حين تلامست اصابعهما لكنها ظلت مشيحة

عنه بالرغم من بصره المركز عليها. خلال تناول الشاي لم تنتبه السيدتان الى صمتها في غمرة حديثهما المتواصل ولما انتهوا منه طلبت اليها العمة هارييت ان تأخذ امها الى غرفتها ثم قالت لانيد:

ـ لا شك انك تودين الاستراحة قبل العشاء يا سيدة لاثام. ارجو ان تعجبك الغرفة، واذا احتجت الى اي شيء فلا ترددي في طلبه.

نهضت اليكس لترافق امها ولم تنظر بتاتاً ناحية تشيس. وفي طريقهما الى الطابق العلوي ازداد اعجاب انيد بالبيت اثر كل خطوة، ولما دخلا الغرفة المخصصة لها قالت لابنتها وعيناها تشعان فرحاً:

ـ لا اكاد اصدق! اوه! اغلقي الباب يا حبيبتي واجلسي معي قليلاً. لم أحلم ابداً بان تقعي على كنز كهذا.

التزمت اليكس مكانها وقالت بصعوبة بالغة:

ـ عما تتكلمين يا امي؟ لقد جئت هنا لعمل معين وسأرجع الى ملبورن في أسرع وقت ممكن.

ربما في خلال ايام.

تظاهرت انيد بالطرش وقالت ببسمة خفيفة:

ـ السيد مارشال ساحر الشخصية. رجل رائع بكل معنى الكلمة! عندما زارنا في البيت وعرفنا بنفسه أعجبنا به، أنا وابوك، ايما اعجاب. ويقول والدك انه يملك ملايين الجنيهات على الارجح.

ـ فليهنأ بها ويتمتع.

وهنا فطنت انيد الى جمود اليكس وفتورها فقطبت فجأة وقالت:

ـ لو كنت مكانك لكففت عن التفوه بتعليقات كهذه، فبالرغم من تظاهرك باحتقار المال، فهو الذي يتكلم.

ـ سأصدقك ما دمت تكلمينه!

ـ اليكس!

فصرخت تسألها:

ـ ماذا عن دون فيشر؟

لقد استشعرت مناورات امها ففضلت ان تبادرها الهجوم. أجابت انيد متظاهرة بالنسيان:

ـ دون فيشر؟ اوه، سمعت شخصاً يقول انه سافر الى مكان ما. لم اره

منذ مدة.

- وماذا عن صديقتك الانكليزية؟

- مونيكا؟ ذهبت تزور اقرباء لها في بيرث. لكنني اريد التحدث معك بشأن تشيس.

- سنتحدث في ما بعد يا امي. انا مشغولة الآن واستأذنك بالانصراف.

هربت من الغرفة تقريباً وهي تستعر من القرف. كان بودها ان تذهب في نزهة طويلة انما خشيت ان تلتقي بتشيس. يجب ان تهدىء اعصابها الثائرة قبل ان تواجهه فالهدوء الكامل سلاحها الوحيد امامه. هرولت متوجهة الى غرفتها وقد قررت ان تستحم بسرعة ثم تنزل باكراً لتساعد السيدة ياونغ في المطبخ. قد يمتعض تشيس من تصرفها لكن مشاعره لا تعنيها. فتحت باب غرفتها ففوجئت بوجوده فيها. الا يكفيها ما قاست من مفاجآت رهيبة؟ كان مستلقياً على السرير وكأن لديه كل الحق في احتلال غرفتها. ارتجفت اليكس اذ تساءلت عما كانت ستقوله امها لو انها رأته بدورها. حدقت اليه قائلة:

- هل جننت؟

انزل ساقيه الى الارض بتكاسل ثم جلس باسترخاء على حافة السرير. ركز بصره عليها واجابها بفتور:

- لا، لست مجنوناً، انما قد اجن قريباً ان لم تكفي عن التصرف كطفلة مدللة. اما الجنون الذي اتحدث عنه فهو الغضب وليس فقدان العقل.

- لن اسمح لك بالبقاء اكثر من ثانيتين فقط. ماذا تريد؟

وفجأة اطل من عينيه وعيد رهيب جعلها تندم على تهجمها عليه. سلّط بصره المتوقد على وجهها الساكن وقال:

- يجب ان نتحدث.

ارتجفت داخلياً انما حافظت على مظهرها الهادىء وهي تجيب ببرود:

- يبدو انك دخلت مرحلة التنفيذ! لم جئت بامي الى هنا؟ اجبني بحرية فلا احد يسمعنا الآن!

- ولم لا ادعوها؟ ان نواياي شريفة وانت تتجاهلين هذه الحقيقة باستمرار. فكرت ان الوقت قد حان لأتعرف الى اهلك ولادعوهم لزيارتي. من الطبيعي ان يقلق أبواك عليك، ورأيت انه من واجبي

تطمينهما وتعريفهما الى صهرهما المستقبلي.

غاض الدم من وجهها فجأة وقالت بصوت واهن مذعور:

- انا لم اوافق على الزواج منك!

- وانا لم اقل لها شيئاً يحملها على الاعتقاد بأنك وافقت.

خفق قلبها اذ تذكرت قرارها السابق بأن توافق على الزواج لدى عودته، بيد ان وصول امها المفاجىء حال دون تورطها. قد لا يعرف تشيس هذه الحقيقة لكنه افسد كل شيء بجلب امها الى كولابرا. المشكلة الآن عدم استطاعتها شرح ذلك بطريقة معقولة. لقد اصيبت بصدمة حين ظنت ان دافينا هي التي ستأتي معه وكذلك صدمت برؤية امها. اتسعت عيناها وقالت بيأس:

- لا ادري تفاصيل ما يجري انما اعتقد انك دعوت امي لتكون حليفتك في اقناعي. انا لست غبية الى درجة تعجزني عن ادراك هذا.

رأت حلقة بيضاء غريبة تصبغ جوانب فمه الا انه رد بصوت ساخر:

- ليتك تحبينني بمقدار نصف حبك للقفز الى الاستنتاجات الوهمية. اعتقد يا اليكس انك لم تفهمي امك يوماً على حقيقتها. صحيح انها قوية الشكيمة لكنها خلقت بهذه الطبيعة ولا تقصد التسلط عليك كما تتوهمين بل ترغب من كل قلبها في ان تؤمن لك الاستقرار بالطريقة التي تمليها عليها طبيعتها. انها تؤمن بضرورة التنفيذ وقد تكون من هذه الناحية افضل من اللواتي يضيعن الوقت في الحيرة والتفكير بدون ان ينجزن شيئاً. ومتى تزوجنا لن تلبث ان توظف نشاطها التنظيمي في مشروع آخر وتصبحين انت في مأمن منها.

- شرط ان اتزوجك انت!

- اتعتبرين ذلك اسوأ من العيش معها؟

لم تجد ما تقوله فلاذت بالصمت. صراحته مخيفة الا انها لا تخلو من هدف معين. بدا كما لو انه يحاول افهامها شيئاً، لكن افكارها ومشاعرها المتخابطة تحول دون فهمها لهذا الهدف. لقد تكلم كثيراً. انما شعرت في الوقت نفسه انه تعمد حذف الاشياء المهمة.

وهنا تقدم منها ليقبض على كتفيها بقسوة وليقول ايضاً بقسوة:

- هناك اشياء كثيرة يا اليكس عليك ان تقريها بنفسك والا عجزت في

المستقبل عن التزام اي قرار تتخذينه، فقد تعتقدين خطأ، انني وامك فرضنا ارادتنا عليك، الامر الذي سيشقينا معاً.

لسعت الدموع جفنيها فهتفت:

ـ يا لتلك السعادة التي سأجنيها وكلاكما يفرض علي سلطته!

رقت نظرته فجأة وقال:

ـ اوه، لا تبالغي يا طفلتي، فأنا لست وحشاً كما تتوهمين. سأضطر بالطبع الى ايقاف اشغالي للانصراف الى اقناعك، واقترح ان ننسى امر الزواج في الوقت الحاضر.

ـ قلت ذلك قبلاً لكنك تعود دائماً الى الموضوع.

فاجابها واجماً:

ـ اذن سأنتظر حتى تفتحيه بنفسك.

قالت بتهور:

ـ لقد ارحتني. سأتمكن الآن من نسيانه.

اكفهر وجهه مجيباً:

ـ لن اعد بالتوقف عن تذكيرك، وكما قلت لك سابقاً، قد اجد طريقة لا تحوجني الى الكلام. اذ هناك وسائل اكثر فعالية من الكلمات.

ـ هل... هل تنوي المساومة عليّ بشكل ما؟

قلص قبضته على كتفيها المرتجفتين وهتف غاضباً:

ـ هذه عقلية قديمة الطراز.

ـ وانا فتاة قديمة الطراز. لا تنسى ذلك.

ـ انت وقحة ايضاً بالرغم من تربية امك.

ـ ذلك لا يجيبني على سؤالي.

ـ سنرى.

ـ اريدك يا اليكس، واعترف بأنني لا أبغي الانتظار. اريدك زوجة في بيتي كي اعيش معك حياتي اما اذا افقدتني صبري واعصابي فقد تدفعيني في يوم ما الى ان امتلكك بأي شكل... لماذا يخفق قلبك كلما لمستك؟ لم اعرف في حياتي تجاوباً سريعاً كهذا.

تجاهلت دقّ حبها له وهتفت:

ـ لأني اكرهك!

ـ لا أصدق ذلك. عيناك غائرتان من شدة الارهاق. انصحك بالاستراحة قبل العشاء.

ـ هذا آخر شيء...

فقاطعها بحزم عنيد:

ـ افعلي ما بدا لك. لست مضطراً الى اضاعة وقتي وعطفي على اناس يرفضونها.

تمنت لو ينصرف الاّ انها استوقفته بقولها:

ـ علمت من بعض المصادر الموثوقة انك تقضي معظم اوقاتك بعيداً عن كولابرا.

ـ صحيح، قلما مكثت طويلاً، لكنك دخلت الآن حياتي وبالتالي اجدني مضطراً الى مراعاتك ومراعاة ميولي الخاصة. من اليوم فصاعداً سأبقى هنا معظم اوقات السنة. سنة بعد سنة.

ـ لن تجد تسليات اخرى في هذه المناطق النائية.

اجابها بفتور:

ـ ان كنت تقصدين بذلك نساء اخريات فلن احتاجهن، اذا كنت معي.

ـ هناك اشياء كثيرة تعتبرها تحصيل حاصل!

ـ لقد استعملت كلمة اذا.

ـ تلك لياقة كبيرة من جانبك!

رفعت وجهها الناعم بتحد فيما اخذت تصارع رغبة داخلية في الالتصاق به وقد تاقت فجأة الى عناقه... أربعة ايام من الفراق... ما كان اقساها واطولها! انتابها خوف مفاجىء فسألته:

ـ كم من الوقت ستمهلني؟

ـ حتى لا تعود لدي طاقة على الاحتمال.

استدار يبتعد عنها بصلف وبرود وبدون ان يفضح مشاعره سوى تورد خفيف برز تحت جلد فكه المتقلص.

ـ سأذهب الآن لاتفقد المواشي. قد اراك في موعد العشاء.

في الأيام التالية حافظ تشيس على وعده فتركها وشأنها، كان يقضي معظم الوقت مع رجاله، يجمعون الماشية او يعملون في المناطق المحيطة

بالبيت. كانت تلمحه من وقت لآخر في ثياب العمل. تحاشت اليكس طرح أية اسئلة انما لم تستطع منع نفسها من سماع الاسئلة التي كانت امها تطرحها على العمة هاربيت وتجيب عليها هذه الأخيرة بسرور لكونها لا تمل ابداً التحدث عن ابن اخيها الغالي. هذه المعلومات التي عكفت امها على جمعها من العجوز أحدثت لديها أفضل الانطباعات انما ارجفت اليكس وخوّفتها من مجرد ان تحاول تحديد مشاعرها تجاه سيد البيت! خير لها الا تفعل... فهي ليست شجاعة ولا جدوى من التظاهر بعكس ذلك. اجل، خير لها ان تستمر في حالة اللامبالاة على ان تعرض نفسها لآلام جديدة.

اما في المساء فكان يحافظ على موعد العشاء ويقوم بدور المضيف على اكمل وجه ويبدو مميز الشخصية في بزات داكنة انيقة لا تشبه البتة الملابس المغبرة التي يرتديها اثناء العمل. كان اندرو بليك ينضم اليهم احياناً مع شابين آخرين كانا يقومان بدورة تدريبية في كولابرا كي يتمكنا من ادارة مزارعهما الخاصة في ما بعد. اجل، الامسيات بهيجة جداً، ولا يمكنها الانكار ان امها تساهم الى حد كبير في اشاعة المرح فيها. فهي اجتماعية بطبعها وجميلة المظهر، وقد ادركت اليكس فجأة ان انيد لا تكبر تشيس كثيراً في السن. وفي احدى المرات رأتهما يضحكان معاً فاتضح لها ان امها تقارب جيله الى حد ما، وأجفلها آنذاك ان تشعر بغيرة حارقة. كم هو غريب ان تخضع امرأة مسيطرة مثل انيد الى سحر بسيط يسلطه عليها رجل خبير، فقد استطاع تشيس ان يفعل ذلك بسهولة مذهلة!

احياناً كان يأخذها وامها، في اوقات فراغه القليلة، للتنزه على ظهور الجياد. انيد كانت فارسة ماهرة الامر الذي لقي استحساناً لدى تشيس. كانا يسبقانها قليلاً عادة فتلحق بهما على مقربة. لم تنزعج من هذا الامر كثيراً اذ اتاح لها مراراً ان ترقب تشيس بحرية وهذا ما صارت تركز عليه اكثر من اي شيء آخر. ان رؤيته اصبحت جزءاً ضرورياً من حياتها مع انها تفضل الموت على ان تدعه يعلم ذلك! في احدى النزهات، فرحت اليكس تقريباً حين اعلنت امها انها بالرغم من استمتاعها بالزيارة الا ان كولابرا لا تروقها كمكان سكن دائم بسبب جوها الموحش وانعزالها.

وقبل ان يتلفظ تشيس بأي جواب انبرت اليكس تقول مدافعة:

- انا لم استشعر اية وحشة يا امي فالحركة والعمل لا يتوقفان مطلقاً. انها مكان رائع بالفعل وانا احبها!

ثم سرعان ما ندمت على كلامها لحظة رأت نظرة الرضى العميقة التي ارتسمت على وجه تشيس. شعرت بحاجتها الى الهرب ككل مرة يسلط بصره عليها، فحثت مهرتها الصغيرة على الاسراع الا ان ابتسامته الساخرة لاحقتها فأعجزتها عن الهرب الكامل!

بعد خمسة أيام، واثناء تناول الشاي اعلن تشيس انه ذاهب الى ماونت آيزا. فقالت عمته فوراً:

- اذن يجب ان تأخذ اليكس معك فهي ودت الذهاب اثناء وجودك في سيدني، وحرمت المشوار لانشغال الجميع في اعمالهم.

- كان ذلك من سوء حظها! اما زلت تريدين التسوق يا اليكس؟

لقد ادرك لماذا ابتغت الذهاب وقتئذ فالتهبت وجنتاها خزياً. ما عاد لديها الآن اي شك في انه اعطى اوامر مشددة بعدم السماح لها بمغادرة المزرعة! قررت ان تغيظه بتحديها فاجابته مبتسمة:

- اجل، ما زلت بحاجة الى التسوّق.

من عادته ان يقوم بهذه الرحلات في أواخر النهار. سيكون على عجلة من امره واذا ازعجته رفقتها يكون أفضل! ان ذلك سيجعله يفكر مرتين، في المستقبل، قبل ان يعرض خدماته من باب المجاملة فحسب! قال بجفاف:

- يسرني ان ترافقيني. هيا، اركضي واجلبي قبعتك لبينما اقول شيئاً لهاتين السيدتين.

امتثلت لطلبه بدون ان يخامرها شك في مقصده. انما لحظت انه لم يطلب من امها مرافقتهما. بالطبع، انيد تكره السفر جواً وما كانت لتأتي في اي حال. وهنا تذكرت اليكس ان تشيس يعرف نفور امها من الطائرات فخبت بهجتها قليلاً وتباطأت في صعود الدرج. لماذا صار يهتم براحة امها اكثر من اهتمامه براحتها هي؟ وما ان اقلع بالطائرة حتى قالت تعاتبه بطريقة غير مباشرة:

- لا موجب لان تبذل كل هذه المحاولات كي تحظى باعجاب امي. انها تحبك بما فيه الكفاية.

أو بالاحرى تحب الاشياء التي تمثلها يا تشيس.

- قد اخنقك في يوم قريب!

فردت بلا اكتراث:

- سانتظر هذا اليوم بفرح.

- بل سأفعل ذلك الآن!

تقبضت يداه على المقود وكأنه يشك في قدرته على التنفيذ فهتفت ساخرة:

- اتريد تخويفي؟ لقد رافقتك في الطائرة قبلاً.

- اتظنين سأعجز عن ذلك؟

لم تأبه لنبرة الوعيد في صوته اذ احست باطمئنان فائق الى وضعها الحالي. لن يستطيع فعل شيء وهو يقود طائرة. قد يبدو كقرصان لكنه رجل شهم في اعماقه ولن يقدم على اي شيء يلوث سمعتها. ران عليهما صمت متوتر ثم سألها:

- أنت مصرة على زيارة ماونت آيزا؟

- ليس تماماً. انما لم تسأل؟

- كنت افكر ان آخذك الى «أليس»، من باب التغيير.

- اتقصد أليس سبرينغز؟ الينابيع؟

- اجل، فانت لم تريها ولا يمكنك الرحيل قبل ان تزوريها مرة على الاقل.

آلمتها كلماته الاخيرة لسبب ما. احست كما لو انه سدد اليها ضربة قاسية وقالت لتخفي وجعها:

- اليس الوقت متأخراً على الزيارة؟

- لدينا وقت للذهاب والاياب، ولا داعي لأن نمكث فيها طويلاً.

- وماذا عن عملك في ماونت آيزا؟

- يمكنني انجازه في أليس.

- اذن لا مانع لدي.

احست بشيء من اللهفة فمعظم الناس في العالم قد سمعوا باليس سبريغنز ومن دواعي الاستغراب ان يختلف بعض الاوستراليين عن زيارتها. غيّر تشيس اتجاه القيادة بيسر ومهارة، ثم قال:

- لن نجد وقتاً للتجوال في الاماكن الشهيرة كصخرة ايرز انما بوسعنا ان نطير فوقها. سآخذك اليها في مرة اخرى.

ما به؟ قبل لحظة تحدّث عن رحيلها والآن يتكلم وكأنها ستبقى في كولابرا! استرقت نظرة قلقة الى جانب وجهه الخشن ثم حاولت ان تسترخي وتراقب براعته الهادئة في قيادة الطائرة. ليتها تدري بما يفكر! كيف لها ان تشعر بالامان ما دامت تجهل ما يدور في رأسه؟ لقد عرفها الى اشياء كثيرة عن نفسها انما ما يزال هو لغزاً بالنسبة اليها.

هدير المحركات اضافة الى حرارة الشمس بعثا فيها النعاس. السماء فوقها زرقاء والارض تحتها حمراء والمسافة بينهما هائلة. لا شيء يمتعها من النوم والاحلام. تكورت باسترخاء ثم انسدلت اهدابها الكثة على وجنتيها وغفت. استيقظت مرتعبة على صوت تشيس وهو يقول بايجاز:

- اليكس! افيقي. سوف نهبط.

- نهبط؟

لم تنتبه للوهلة الأولى اين هي. لكنها لم تنذعر لفرط ثقتها بمهارة تشيس. كانت المحركات ترجرج وكأن احداً ينتعها. هذا امر يحصل اثناء الطيران ولا تلبث المحركات ان تعود الى طبيعتها. لكن وجوم تشيس يثير القلق. سألته وعيناها تتسعان خوفاً:

- ما الخطب؟

- ليتني اعلم! لا تفكي حزام الامان ولا تتكلمي. دعيني اتصرف.

تمنت لو تستعير منه بعض الهدوء. تأكدت من حزام الامان حول خصرها ثم لم تستطع السكوت فقالت بعصبيه.

- اليست لديك اية فكرة عن سبب العطل؟

- اظنه الوقود. ابرة المقياس توقفت عن الحركة. هذه طائرة وليست سيارة لنهبط منها ونكشف على المحرك.

عادت المحركات الى الحياة فارتفعت معنوياتها معها وسألته:

- هل سيتكرر هذا؟

أجابها مغمغماً:

- ارجو الا يتكرر.

كان يركز بعمق. وفجأة توقفت المحركات كلياً وهما يهبطان صوب

الارض. فصرخ قائلاً:

- افعلي ما قلته لك! اني احاول الاعلام لاسلكيا عن موقعنا والوقت يغدرنا.

فزعقت برعب:

- تشيس!

بدت الطائرة تهبط بسرعة مخيفة في اتجاه الارض الحمراء وسرعان ما خجلت من نفسها فهمست اعتذاراً لم يسمعه على الارجح. الهواء يندفع بجنون فيجعل جناحي الطائرة يحدثان انيناً عالياً وغريباً بسبب المحركات. انه صوت مخيف يملأ قلبها رعباً. وصاح بها تشيس ثانية:

- اياك ان تفكي حزام الامان حين نصل الارض لئلا تنقذفي من الطائرة. اتركيه حتى نتوقف ثم اخرجي بسرعة. مفهوم؟

- وماذا عنك انت؟

انها خائفة عليه وليس على نفسها. ليته يعلم ذلك. التفت اليها بسرعة وقرأت في عينيه اعجاباً بتماسكها. اجابها مطمئناً:

- سأكون خلفك مباشرة. انت شجاعة يا اليكس.

المنطقة تحتها بدت مسطحة، ثم رأت رقاع اشجار واخاديد صخرية ونتوءات قد تتحطم عليها الطائرات بسهولة. ودت لو تسأله عن مكانهما، هل ما يزالان فوق اراضي كولابرا؟ لكنها احجمت عن ازعاجه في هذا الظرف العصيب. بدا هادئاً ومدركاً لما يفعل انما كان عليه ان يستغل كل تيار هوائي رافع ليصل بالطائرة الى رقعة الارض المسطحة.

ساعده يا الهي! صلت بصمت وعيناها تتعلقان به. قد يموتان معاً عما قليل وكم تتمنى ان تعلمه مدى حبها له. لكنها عبثاً تبحث عن صوتها الضائع وقد بدأت انفاسها تنسحب بسرعة من جسمها المتقلص. ارتطمت الطائرة برقعة ارض مسطحة مكسوة بالحصى ثم قفزت واستقرت، على جانب اكمة صغيرة مغطاة بشجيرات خفيضة بعدما ترنحت بارتجاج عنيف. اشعر اليكس ان كل عظمة في جسمها قد انزاحت عن مكانها. تحركت يداها آلياً لتنفذ تعليمات تشيس فما كان منه الا ان سارع الى فك حزامها ثم قذفها تقريباً خارج الطائرة المحطمة وقفز وراءها بسرعة البرق وهو يصرخ بعنف:

- اركضي ما وسعك الركض!

نهضت تقف متعثرة فيما تصاعد دخان الوقود بكثافة في الهواء فلم تكن بحاجة الى ان ينذرها من خطر الحريق. قبض على ذراعها وركض يجرها معه هارباً. وما ان ابتعدا بعض المسافة حتى انفجرت الطائرة وسقطا أرضاً بفعل الحرارة واللهب. بعد لحظات اوقفها تشيس على قدميها وقال:

- هيا. ستأكلنا النار ان لم نبتعد بسرعة.

وصلا جدولاً صغيراً تظلله مجموعة اشجار، فانطرحت اليكس على ضفة الجدول الضحل وهي تشعر بآثار الحرارة الرهيبة. ودت لو تغطس جسمها في الماء لكنها احست باعياء وغثيان يحولان دون ذلك. تمعن تشيس في وجهها ونصحها بالاسترخاء. ازاح شعرها عن محياها الساخن وتحسس اطرافها وبدنها ليتأكد من عدم وجود كسور او رضوض. اتضح له ان الخوف هو السبب فقال بهدوء:

- احمدي الله على اننا خرجنا سالمين.

- اهذا ما تظنه؟

لم يرقها موقفه الجامد فهي بحاجة الى عطف لا الى تعليقات كهذه. لماذا تحس دواراً وغثياناً ما دامت لم تصب بأذى؟ هل أصيب تشيس بضرر ما؟ خجلت من انانيتها فقفز القلق الى عينيها وسألته باهتمام:

- هل انت بخير؟

- اجل، لكن الحادثة هزت أعصابنا. سأعطيك حبة مهدئة لتشعري بالتحسن.

- وانت؟ الن تتناول حبة؟

استمر يتفحص وجهها ليرى مدى تأثير الصدمة عليها. اجابها باختصار:

- سأعيش واتعلم... هذه قاعدة ذهبية نتبعها هنا يا حبيبتي.

كلمتاه الاخيرتان هزتا اعماقها اكثر مما هزها تحطم الطائرة. اجتاح كيانها مزيج من الاثارة والتوتر فاصطبغت وجنتاها الشاحبتان بحمرة قانية. قال متأملاً وجهها بقلق:

- اصبحت مفرطة العاطفة. حاولي ان تسترخي.

تلاطمت الافكار في رأسها ثم استطاعت ان تطرح عليه سؤالاً وجيهاً:

- هل سيهتدي احد الى مكاننا؟

- لقد ابلغت عنه باللاسلكي لكن وصول فرقة الانقاذ قد يستغرق وقتاً. لا أتوقع ان تصل اليوم.

لم يقلقها كلامه اذ لا يسعها ان تفعل شيئاً وعليها ان تخضع للأمر الواقع. اخرج حزمة جلدية فراقبته بتركيز وهو يفتحها، ولما سألته عنها اجابها:

- انها نوع من صندوق الاسعافات. بامكانها ان تنقذ ارواحاً.

- ما سبب العطل يا تشيس؟

القى نظرة سريعة على الحطام المستعر بعيداً وقال:

- من الصعب معرفته وخاصة عندما تحترق الطائرة برمتها.

بدا عازفاً عن قول المزيد فلم تلح عليه. لقد اعطاها تفسيراً ملائماً ولا يمكنها ان تجيب نفسها لجهلها بأمور الطائرات الصغيرة والكبيرة على السواء. ابتلعت الدواء دونما اعتراض كذلك لم تعترض حين احاط كتفيها بذراعه ليساعدها على الجلوس. ابتلعت معه غصة مؤلمة اذ راودتها رغبة سخيفة في البكاء على كتفه. ليتها تلتصق به وتدعه يمطر وجهها بالحنان ليزيدها ثقة واطمئناناً. ربت على ظهرها بعطف اخوي ثم افلتها. تنفست بعمق وسألته بشيء من الاضطراب:

- هل سنضطر الى قضاء الليل هنا؟

- اظن ذلك، فليس من الحكمة ان تحاول الذهاب الى اي مكان سيراً على الاقدام. عليك بالصبر يا اليكس. انها منطقة شاسعة انما لا بد في النهاية ان يهتدي احد الى مكاننا.

وهنا لسعتها خاطرة مفاجئة جعلت قلبها يخفق بجنون بفعل صدمة جديدة، فانفجرت تقول بتهور:

- لقد تعمدت اسقاط الطائرة. اليس كذلك؟ تظن الآن ان فعلتك هذه ستضطرني الى الزواج منك!

تقلص وجهه بغضب ناري امتد الى عينيه السوداوين وانثنت اصابعه وكأنه يود ان يعتصر عنقها النحيل. هب واقفاً على قدميه لفرط حنقه، وقال:

- لقد فقدت صوابك يا اليكس! انها آثار الصدمة على الارجح.

انصحك بالصمت لبينما تهدأ اعصابك.

- انا لا اشكو من شيء مع انه كان من المحتمل ان اقتل!

- وتظنين اني تقصدت تعريض حياتك للخطر؟

- ولم لا؟ الم تقل انك ستجد طريقة لتساوم بها علي؟ ثم انك طيار بارع وكان بوسعك ان تتفادى حصول حادثة كهذه!

قال بصوت بارد ثلج اطرافها:

- هيا، افرغي جعبتك. من العار ان تتوقفي عند هذا الحد!

- ليس لدي ما اضيفه.

- لكن انا لدي ما اقوله يا آنسة! واتعتقدين حقاً اني كنت اجازف بحياتي لاتزوج فتاة غبية على غرارك؟

- لم... لم يخطر لي ابداً... انك كنت تجازف بحياتك.

- يا الهي! هل كنت اذن اقوم بألعاب بهلوانية لأسليك يا اليكس؟

بدأت ترتجف فتمالك نفسه بجهد ملحوظ واردف:

- كل من يخرج سالماً من طائرة محطمة لا يفكر الا بشكر ربه على السلامة، وكل من يتعرض لحادثة كهذه يصاب بصدمة معينة. انصحك بأن تنسي ما اتهمتني به لتوك، او على الاقل ان لا تذكريه مرة اخرى، لانك ستندمين عليه حالما تثوبين الى رشدك.

٩- لحظات الغرق

أشاحت اليكس بعيداً عنه. كرامتها تحثها على رفض نصيحته الآ انها لا تجرؤ على ذلك. لديها شك رهيب في انها تصرفت بحمق شديد وانه لن يغفر لها ابداً. انها تحتاج الى وقت لتفكر في حل لمشكلتها، ويبدو من وجه تشيس المكفهر انها ستجد وقتاً كثيراً! ستقضي ساعات طويلة بمفردها لتراجع افعالها الحمقاء! همست بانهزام كلي:

- آسفة.
- انسي الموضوع.

لم تلحظ كيف نظر بقلق الى دموعها المنسكبة على جانب وجهها الفاتن. لم يحاول مواساتها، ربما لأنه لم ينس بعد، الكلمات القاسية التي تبادلاها، او لأنه يعلم كما الجميع أنّ الدموع علاج ناجع للتحزن. ابتعد عنها متنهداً

بعمق وبدأ يجمع عيداناً وأوراقاً جافة ليشعل بها ناراً، انما اوحى فمه المقلص بأنّ ذهنه كان شارداً في مكان ما. بعد بضع دقائق مسحت اليكس دموعها وأخذت تراقبه. أدهشتها طريقته السريعة والمنظمة في العمل، واستطاع في وقت قصير ان يقدم لها الشاي فعلياً في ركوة. كان فيه نكهة خاصة فشربته بامتنان. انعشها الشاي وهدأ اعصابها، ومع ذلك وجدت صعوبة في النظر اليه. لم ترفع رأسها صوبه واحتارت في ايجاد طريقة تمكنها من ردم هوة الصمت التي اتسعت بينهما. عليها ان تبادره الحديث انما لا تعرف من اين تبدأ. فطن تشيس الى حيرتها فقدم لها نصف لوح من الشوكولا وقال بدماثة:

- سأرى ان كنت استطيع ايجاد سمك في الجدول لوجبة العشاء.

أملت من لهجته المتغيرة ان يكون سامحها فرفعت بصرها اليه سائلة:

- وهل يوجد فيه سمك؟
- ارجو ان نتوفق. ابقي في مكانك ريثما اعود. لن اغيب طويلاً واياك ان تتحركي.

لما رجع تشيس غمرها ارتياح كبير اخفته بسؤال مهذب:

- هل رأيت سمكاً؟

لوى شفتيه فظهرت عليهما شبه ابتسامة:

- اجل، تبعت الجدول فاكتشفت ان مياهه اعمق هناك مما هي هنا، ويمكنك الاستحمام فيها ان اردت.

كانت تشعر بحرارة وتعرق وفستانها الصيفي الرقيق يلتصق بجلدها. الاستحمام فكرة رائعة. أشرق وجهها لحظة ثم قالت بوجوم:

- ليس لدينا منشفة. ولا ثياب اخرى نظيفة.

بدا مرتاحاً لتجاوبها وقال ضاحكاً:

- لدي منشفة صغيرة في حقيبة الاسعاف يمكنك الافادة منها ان شئت. اما الثياب النظيفة فمن المستحيل ايجادها.
- هل أسبقك؟
- سنذهب ونستحم معاً.

اذن هذا سبب ضحكه... هتفت قائلة:

- اوه! كلا وألف كلا، اذا...

فقاطعها بسخرية ليضع حداً للجدال:

ـ اصغي الي يا اليكس. هذا ليس وقت التظاهر بالخجل. لقد مررت لتوك بتجربة مرعبة ولن ادعك تعرضين نفسك لاخطار جديدة. اما ان ارافقك او تبقي هنا، اختاري واحداً من الأمرين. أن ما ترتدينه تحت فستانك سيكون بمثابة ثوب سباحة.

سبحت اليكس بملابسها الداخلية وانعشها الماء كثيراً، اما تشبس فجلس على ضفة الجدول مديراً لها ظهره ليبر بالوعد الذي قطعه لها بامتعاض. لكن وجوده القريب اشعرها بتوتر غريب واستعجلت كي يتاح له الاستحمام قبل حلول الظلام. عليه ايضاً ان يصطاد سمكاً ولا تدري كيف سيتمكن من انجاز كل ذلك.

بعد ساعة من الزمن، وفيما كانت تجلس تحت الاشجار تراقب طهوه البارع لعشائهما، بدأت تلوم نفسها على شكوكها السابقة فيه، فهو يبدو قادراً على انجاز اي مهمة يوطن عزمه على تنفيذها. لقد لف السمك في اوراق شجر، وفي انتظار شوائها على النار، اخذ يحدثها قائلاً:

ـ الجدول يعج بالسمك. كذلك تزخر به بعض التجاويف المائية العميقة.

ـ لقد اصطدته بسرعة فائقة.

ـ استعملت خدعة تعلمتها وانا صبي على يد ارومي عجوز، من سكان البلاد الاصليين. انهم يأكلون السمك بكثرة عندما يتوفر لهم.

ـ ساهتم بأمر السمك ان شئت، فانت متعب ولا ريب.

ـ عواطفك تتحول بسهولة من الكراهية الى الحب. الا يضايقنك ذلك؟

آلمتها سخريته فقالت بحدة:

ـ وما دخل الحب والكره في الموضوع؟ كنت اعرض القيام ببعض النشاط.

ـ لا تفرطي في الكرم فنشاطك الآن محدود. العشاء صار جاهزاً في اي حال، وما عليك الا ان تستمتعي به.

فعلت ذلك بالرغم من تعليقاته اللاذعة. اكلا السمك بأصابعهما وكان شهياً للغاية. خمدت النار نهائياً فحاولت التكلم بعفوية:

ـ لا نحتاج الى نور ما دمنا مرتاحين من غسيل الاطباق.

ـ ليس امامنا سوى النوم فلن يجدنا احد في الظلام.

ـ منذ الحادثة وانا اصغي الى صوت طائرة في الجو.

ـ اوتحسبيني لم أفعل؟

ـ آسفة. لا اتوقف عن التفكير في القلق الذي لا بد أننا نسببه لعمتك ولأبوي. انهم لا يعرفون ان كنا من الاحياء او الاموات.

ـ ثقي انهم لن يفقدوا اعصابهم فعمتي هارييت لا تفقد الامل بسهولة وستتمكن من تهدئة امك.

ـ وماذا سيظنون بنا؟

ـ عدنا الى الاسطوانة اياها. هل وصلت في خيالك الى مشهد الاغتصاب؟

ـ انت تثير الكراهية! بالطبع لم افكر في ذلك. كل ما في الامر... اني لم امر من قبل بظرف كهذا.

ـ اتظنين انني مررت بظرف مماثل؟

برقت عيناه بعنف مكتوم وغرز اصابعه في كتفيها ثم اشفق عليها فجأة وارخى يديه قائلاً:

ـ اليكس، اصغي الي! سأقول لك شيئاً قد يخفف قلقك. قبل ان نغادر اخبرت امك وعمتي اننا قد نعود اليهما بخبر مهم.

ـ خبر مهم؟

ـ نبأ خطوبتنا.

ـ لا اصدق!

هالها افتراضه هذا فاردفت مختنقة:

ـ ما الذي حداك الى الاعتقاد باني سأوافق؟

ـ حدست ذلك. لقد ضبطك مراراً تنظرين اليّ بتوق ولهفة فقررت ان اتخذ القرار بالنيابة عنك. واذا كان التردد لا يؤثر عليك بشيء فانه يزلزل لي حياتي!

ـ انك تتخيل اشياء غير صحيحة!

ـ قد تصدقيني اذا اريتك هذا!

حدجها باحتقار وهو يسحب من جيب سترته خاتماً من البلاتين مزيناً بفصين رائعين من الياقوت والماس واردف قائلاً:

- هذان الحجران بلون عينيك ولا يليقان بأية فتاة سواك.

أطلقت شهقة اعجاب وحدقت الى الخاتم الفريد الجمال. قدمه لها فخيل اليها انه يمثل قيداً حديدياً وسجناً خالياً من الحب قد لا تستطيع الهروب منه ابداً فهزت رأسها برفض صامت. ثم سمعته يقول بهدوء:

- اذا قبلته ستسعدين اناساً كثيرين وتوفرين على نفسك تعاسة كبيرة.

- هذه ليست اسباباً كافية لعقد خطوبتي. هل تهمك مشاعري؟

- اظن ذلك.

اجابت بمرارة:

- قد يظن البعض اننا نمارس الآن حباً شائناً لكن لن يصدق الجميع ذلك.

تأمل الخاتم لفترة فارغمها على الحذو حذوه، وعاد يقول:

- المذلة صعبة يا اليكس انما عليك ان تفكري في مشاعر الآخرين. نصيحتي ان تفكري في الأمر ملياً.

- لا حاجة للتفكير.

- اذن انت ترفضين لبس خاتمي؟

قالت باختصار كي لا تنفجر باكية:

- اجل. احتفظ به لفتاة ستقدرك اكثر من تقديري لك.

رد بخشونة:

- قد اعمل بنصيحتك، فدافعي الرئيسي في اي حال كان تزويد كولابرا بوريث.

تظاهرت بالتثاؤب فيما احست قلبها يذوب حنيناً. كانت على استعداد لأن تعطيه أي شيء يطلبه انما الآن ما عاد يربطها اي شيء، ولا حتى الكلام. وهمست تسأله:

- اين سأنام؟

- هناك.

اعاد الخاتم الى جيبه بدون ان يظهر عليه اي اسى وقادها الى ملجأ خشن من الاغصان ولحاء الاشجار كانت قد رأته في وقت سابق يشيّده فلم تجرؤ على استيضاحه امره. اما الآن فتراجعت الى خلف وقالت بعصبية:

- لا يمكنني النوم هنا!

- بل سننام فيه معاً.

- انت ايضاً؟ تشيس، هذا مستحيل...

قال وهو يجذبها الى الملجأ بعنف:

- آن لك ان تواجهي الحقائق يا فتاة. لقد اظهرت شجاعة لغاية الآن فلا تسوّدي صحيفتك. قد تمضي ايام قبل ان يجدونا. لا أرجو ذلك انما الامر وارد. لذا ان نمنا في العراء بدون اي غطاء فقد يقتلنا برد الليل الشديد. حتى هذا الملجأ قد لا يحمينا من الصقيع.

- الا يمكننا الاستعانة بالنار؟

- اجل، لكن شرط ان تلقي نفسك بحرام وان تسهري طوال الليل لاضرامها باستمرار. للأسف، انا لست بطل قفار يا اليكس وأفضل الحفاظ على حياتنا من خلال بقائنا معاً.

عجزت عن التفكير السوّي لفرط حيرتها. الظلام يلفها وليس هناك اي ريح تبرر الحفيف الغامض المنبعث من الاشجار القريبة. ومن بعيد سمعت جعير كلب بري زادها رعباً، مما جعلها توافق على مضض. زحفت الى داخل الملجأ ثم تبعها تشيس وجثم الى جانبها. وبحركة واقعية تماماً جذبها اليه وقال باقتضاب:

- كفي عن المقاومة. لقد تجمد نصف جسمك لغاية الآن.

بدأت تتجمد بالفعل انما بفعل الخوف اكثر من فعل البرد، ومشاعرها الخاصة تخيفها اكثر مما تخيفها مشاعر تشيس. فكلما احست بقربه تجد صعوبة في السيطرة عليها فكيف في هذا الظرف الرهيب؟ القت رأسها على كتفه فشعرت بقلبه يخفق بثقل تحت ذقنها. صعود صدره وهبوطه كفيلان بهدهدتها وحملها على النوم لكنهما يذكرانها بوجوده ولذا النوم مستحيل. مرر اصابعه في خصلات شعرها المتشابكة وازاحها عن كتفيها وعنقها، ثم راحت يداه ترسمان حركات دائرية عليها ليحملها على الاسترخاء. احست بجسمها يضعف وبحلقها يجف فلم تستطع ان تتظاهر بالنوم. وكي تكسر الصمت المتزايد التوتر سألته هامسة:

- هل السكان الاصليون ينامون في ملاجىء كهذه يا تشيس؟

- بعضهم يفعل ذلك لغاية الآن.

- كيف ينامون في مكان ضيق كهذا؟
- يتدبرون امرهم كما تفعل الآن.

وسرعان ما ندمت على ذكر الموضوع اذ التصق بها اكثر فاردفت بسرعة وهي تحاول الابتعاد عنه:

- لا حاجة لأن نلتصق الى هذا الحد.
- اجل، نحتاجه، وتأكدي اني اشعر براحة اكبر مما تشعرين.

استدار بقلق واستلقى على ظهره فوقعت يدها على صدره الخشن. شعرت بشرارات كهربائية تمس اطراف اصابعها فشهقت على رغم منها، ولما بدأ ذعرها يزول بالتدريج اخذت تستكشف صدره بلمسات خفيفة. لم تجد في حركاتها اي دافع للاثارة مع ان كل خواطرها الحميمة السابقة اندفعت الآن الى رأسها كسيل جارف، بل استمرت تضغط على صدره وكأنها تختبر مدى تأثير لمساتها على قلبه الخافق بدويّ مرعد. اعتقل يديها ليمنعها عن الاستمرار فرفعت اليه بصراً مستغرباً ثم صدمتها النظرة التي رأتها في عينيه. ايقظتها من غيبوبتها الحاضرة الاّ انها القتها في حال اسوأ.

استشعر تشيس ما اعتراها من شلل حسي فهز رأسه بصمت. امتزجت نظرته باحتقار ذاتي وعذاب ثم غمغم متأوهاً:

- اوه يا اليكس!

فتحت فمها لتعترض ثم طغت مشاعرها عليها فلم تستطع ان تفعل شيئاً. اعتراها دوار انتشر في اطرافها ثم رأته يرفع رأسه ويسألها بالحاح عنيف:

- اليكس، اصغي الي. هل توصلت الى قرار بصدد الزواج مني؟

فشهقت قائلة في نصف وعي:

- ارجوك. لا تتكلم يا تشيس. لا اريدك ان تتكلم.

لا تريد سماع اي شيء من شأنه ان يدمر هذه الحميمية بينهما، فالكلمات ستفسد كل شيء. ستعيدها الى الواقع البارد وهي تفضل البقاء في هذا العالم الساحر. حاولت ان تفهمه بصمت رأيها هذا فوضعت يدها على فمه ووجهه وتوسلته غير آبهة لكرامتها:

- عانقني يا حبيبي.

اعتقل يدها وهتف مبعداً اياها عنه:

- بحق الرحمة يا اليكس!

اتسعت عيناها محدقة اليه باستغراب وهنا ادركت مدى معاناته للسيطرة على عواطفه استقام جالساً وابتعد عنها قائلاً:

- لم تكن فكرة حكيمة كما ظننت.

لم يكن يتهمها بأي شيء لكن بادرة التوقف صدرت عنه هو. ليتها كانت المبادرة الى ذلك لانه سيتمكن الآن من تذكيرها بضعفها هذا الى ما لا نهاية... لم تجد ما تقوله ولم تنظر صوبه. ثم وقف قائلاً:

- حاولي ان تنامي. سأذهب لاضرم النار.

اختلق هذا التبرير ليجدها نائمة عند عودته. ادركت غايته فاستسلمت لموجة الارهاق التي اجتاحتها. راقبته يسير الى مكان النار ويلقي عليها اغصاناً يابسة، ثم ينفض يديه من الغبار ويقف محدقاً الى النار. وهنا ثقل جفناها ولم تدر كيف انساقت الى عالم النوم والاحلام.

استيقظت عند الفجر وهمست اسمه بصوت ناعس. لم يكن الى جوارها. اين ذهب يا ترى؟ تذكرت فجأة انها شاهدته لآخر مرة واقفاً امام النار قبل ان تنام. دب فيها الذعر وارغم اطرافها المتجمدة على التحرك فهبت خارجة من الملجأ البدائي واخذت تناديه. كررت النداء عدة مرات فلم تتلق اي جواب ولم تر له اثراً. اين هو؟ هل نام قرب النار ثم انطلق هائماً على وجهه في نصف وعي؟ تذكرت ما قيل لها عن الاحداث الغريبة التي قد تحصل في البراري النائية فامتلأ قلبها رعباً. من الجائز ان تحطم الطائرة قد اثر عليه ايضاً... اثر على عقله وجعله ذلك يتعرض لخطر ما. هذه البراري مليئة بالاخطار اثناء الليل، وان كان في حالة ذهنية سيئة فلن يأخذ حذره منها. ازداد رعبها حين وعت فجأة ان قميصه ما يزال يدثر كتفيها. لا بد انه تجمد من الصقيع! ستبحث عنه على ضفة الجدول. ربما ذهب ليجمع بعض الخشب. تركت النار المشتعلة والمنشفة البيضاء التي علقها كبيرق على عمود خشبي وركضت في اتجاه الجدول. لم تجده هناك، فتابعت ركضها لاهثة الانفاس وسط الصمت المطبق حتى وصلت المكان الذي استحما فيه مساء امس، فوجدته هناك. كان قد سبح فيه ودل على ذلك شعره المبتل وبنطلونه الرطب الذي بدا انه ارتداه على عجل. خالط ارتياحها غضب مستعر فركضت اليه بوجه محتقن واخذت تضرب صدره بقبضتيها وتصرخ بلا تفكير:

- كيف جرؤت على تخويفي بهذا الشكل؟ انا اكرهك يا تشيس مارشال! انت وحش! انت اناني حتى العظم!

انطفأت بسمة الترحيب على وجهه وهتف:

- اخرسي يا اليكس!

- لن اخرس! لقد سكت طويلاً في الماضي وهذه...

اعتقلها فجأة وفح بسخرية:

- اذن هناك طريقة افضل لاسكاتك.

رفعها عن الارض وقذفها في وسط الجدول ثم صرخ وهي تغوص في المياه كحجر:

- تستحقين هذا العقاب منذ وقت طويل!

أخذت تناضل للخروج من الماء وهي تلهث وتبقبق فيما جلس هو على الضفة يرقب محاولاتها. وصلت أخيراً شاطىء الامان وثيابها المبللة ملوثة بالوحل الذي حركه سقوطها في العمق. جنت قرفاً من وضعها فأخذت تنزع فستانها بعنف. كانت تلهث باختناق والغضب يكويها فلم تفطن الى حقيقة ما تفعل. ضحكات تشيس المكتومة زادتها اشتعالاً فطارت ازرار فستانها ثم سقط عند قدميها كومة مبللة. وهنا ادركت ما فعلته فهتفت بيأس وهي تنخرط في بكاء مرير:

- اوه! كلا!

هب تشيس على الفور ليساعدها وقال بجدية:

- لا تجعلي من الأمر مأساة يا فتاتي. ربما كلانا كان بحاجة الى درس كهذا.

- تكلم عن نفسك!

- وعنك ايضاً!

- حسبتك ضللت الطريق او اصبت بمكروه...

- احقاً؟ آسف يا اليكس، كل ما في الامر اني اردت استعمال الحمام قبلك، ولو وجدت شيئاً اكتب عليه لكنت تركت لك رسالة قصيرة.

- لا تمزح في موضوع كهذا يا تشيس!

اجاب وهو يقدم لها منديله الابيض:

- ربما يصعب علينا المزاح في هذا الظرف. هاك منديلي، كنت احتفظ به

للطوارىء.

حاولت تناوله منه لكن ارتجاف يديها الشديد حال دون ذلك فتنهد تشيس قائلاً:

- دعيني اساعدك.

استدارت اليه بطاعة عمياء وبالكاد احست يديه تجففان وجهها وكتفيها. كانت لمساته لطيفة مواسية فلم تفطن الى النظرة التي اشتعلت فجأة في عينيه. ثقلت اهدابها وكادت ان تطبق جفنيها من شدة الاعياء حين شعرت بتقلص يديه وسمعته يهمس لها متأوهاً:

- اليكس. انت جميلة!

جميلة؟ كيف ذلك وهي مبللة وملوثة بالوحل؟ تضرجت وجنتاها حين فطنت الى الثياب القليلة التي تسترها. احنى رأسه على وجهها وعانقها.

- لا تقاوميني!

عادت فوراً الى وعيها. كان يعانقها بشراسة ويبدو غير مكترث بايلامها. انتابها الرعب وعبثاً حاولت الافلات منه. لا ريب ان مجيئها اليه هذا الصباح قد أثار فيه عاصفة عاطفية الليلة الفائتة كانت مجرد مقدمة لهذا الفيضان الوحشي الذي يجتاحها الآن.

استرخت ذراعاه قليلاً فاغتنمت اليكس الفرصة وهربت منه الاّ انها سقطت على العشب المغمور بأشعة الشمس وهكذا استلقت امامه عاجزة.

ركع الى جوارها وقال بصوت اجش:

- لن اؤذيك يا حبيبتي.

لم تتحرك من مكانها فعاد يضمها وكأنه مسلوب الارادة. استسلمت لاندفاع مشاعرها فلفت ذراعيها حول عنقه فتحت عينيها ونظرت بذهول الى وجهه الاسمر المتورد. كان يتحرك قلقاً وكأن عواطفه تعذبه في العمق ثم تأوه قائلاً:

- اريدك يا حبيبتي، لكني لا اريد ان اؤذيك.

بدا وكأنه يتيح لها فرصة اخيرة للهرب الاّ انها ما عادت تكترث لاية عاقبة فقد السيطرة على نفسه فاحست نفسها تذوب مع مخاوفها. بعد لحظة ستصل نقطة اللارجوع... وفجأة سمعا صوتاً ينفجر هادراً في الجو ويسلخهما عن بعضهما بعضاً.

ادركت انه صوت هليكوبتر ولما فتحت عينيها الزائغتين رأت تشيس يقفز واقفاً على قدميه. تجمد للحظة متقلص الكتفين ثم هتف متجهاً الى مكانهما السابق تحت الاشجار:

- لقد وجدونا يا اليكس! انهم يهبطون الى جانب الطائرة!

سارعت الى ترتيب نفسها قدر المستطاع ومشاعر الخزي تعصف بها. وصول الهليكوبتر انقذ حياتها وشرفها ايضا. كيف اتاحت لمشاعرها بان تجرفها الى ذلك الحد؟ استجمعت شتات افكارها وحدقت باستياء الى فستانها المبلل والملوث بالوحل. كيف ستبدو ان ارتدته؟ ثلج الخجل اطرافها فصاحت تستنجد برأي تشيس:

- ماذا افعل يا تشيس؟

عاد اليها وأحسته ينظر اليها متفهماً وهو يقول:

- ابقي حيث انت لبينما اجلب لك بطانية. لا بد ان لديهم واحدة.

- ولكن... اية ظنون ستساورهم؟

تطلعت اليه بقلق مجنون فرأت الوجوم يصبغ وجهه الحائر ثم قال بهدوء:

- اذا كانوا من رجالي، وانا اكيد من ذلك تقريباً، فلن تساورهم الظنون يا اليكس.

سمعته يتنهد بصبر نافذ، ربما لأنه تضايق من ردود فعلها العصبية، فاي فتاة اخرى يمكن في هذا الظرف ان ترقص حوله فرحاً بالنجاة بدل ان تتكور مثلها بجبن وترتجف خوفاً من شيء لم يحدث اطلاقاً. انها لا تستطيع حتى ان تجد الشجاعة لتعبر عن فرحها بنجاتها. عاد تشيس بعد خمس دقائق يحمل بنطلون جينز وسترة صوفية وقال لها:

- انه اندرو كما توقعت. اما عمتي فأرسلت لك هذه الثياب اذ تذكرت انك خرجت بفستان رقيق قد يتمزق بفعل الحادثة. في اي حال، هذه الثياب واقعية اكثر.

تناولتها بامتنان لكنها شكرته بصوت متجلد كذلك شعرت بتثلج يديها حين ارتدت البنطلون بصعوبة واخفقت في رفع السحاب. فسألها بصوت حميم ورّد وجنتيها:

- هل اساعدك؟

- كلا، شكراً.

- بحق السماء يا اليكس! لا موجب لأن تبدي متجرحة الى هذا الحد فلم يحدث شيء بيننا.

- أتتبرأ من ذنبك؟

- انا مستعد لتحمل كامل الخطأ ان كان هذا يريحك.

صرخت وهي تشنج:

- لا اعتقد اني سأشعر بأية راحة بعد اليوم!

قبض على ذراعيها النحيلتين بقسوة وقال بالحاح:

- اصغي الي جيداً يا اليكس! ان اندرو هنا، وهناك هليكوبتر آخر على الطريق. سيحيط بك اناس كثيرون وعليك ان تتمالكي نفسك.

- حسبت ان ظنون رجالك لا تهمك، ولم أعلم انني فقدت السيطرة على أعصابي.

- انك على وشك فقدانها. هذا لن يفيدنا يا اليكس وأنت تعلمين ذلك.

- آسفة. اعدك بان أحسن التصرف. لن افعل شيئاً يسبب لك احراجاً.

ولما صمت وكأن كلامها لا يستحق جواباً اردفت بمرارة:

- لقد تأخروا في المجيء، اليس كذلك؟

- كيف تقولين هذا وكان من الجائز الا يجدوا مكاننا لأيام طويلة؟

- تصور كم كنت ستضجر من رفقتي لو حصل هذا!

عاد يعصر ذراعها باصابع حديدية ويقول:

- اليكس، ادرك انك مررت بتجربة مرعبة لكن تصرفك الطفولي لن يحل المشكلة. عليك ان تفكري في الآخرين.

- ومن هم هؤلاء الآخرين؟

- والداك، مثلا.

- امي؟

- وابوك ايضاً. لقد ارسلوا وراءه وسيصل قريباً.

حدقت اليه وهتفت بغضب يائس:

- ولماذا استدعوه؟

اجاب من بين اسنانه:

- لقد اصابت امك باستدعائه، ولم تنس بأنك ابنته ايضاً. فلو أننا قتلنا لما كان غفر لها ابداً عدم استدعائه.
- هل سنجده في كولابرا لدى عودتنا؟
- ربما، وقد يصل بعد ذلك بقليل. لماذا تسألين؟
هزت رأسها كالخرساء واحست فجأة انها عاجزة عن احتمال الوضع. فحيثما تلفتت لا ترى امامها سوى صفوف من الوجوه المرتابة المتسائلة. اجل، الجميع سوف يتساءلون كيف قضت الليلة معه، سواء في نظراتهم أو في افكارهم، وهي بحاجة الى نوع من المساعدة لتستطيع ان تواجههم.
نظرت اليه بسرعة فاحمر وجهها وارتجفت شفتاها حين طالعتها نظرته الباردة. ان السؤال الذي ستوجهه اليه يحتاج شجاعة فائقة. غصت بريقها وكادت ان تتراجع لكن الضرورة تقضي ولا سيما ان اباها قد يكون في كولابرا. وهمست اخيرا:
- تشيس، هل لي ان البس خاتمك، من فضلك؟

١٠ - نار الانتظار

- آه، الخاتم!
لمعت في عينيه ومضة دهشة وارتسمت على وجهه ابتسامة غريبة كان من شأنها أن تثير ارتياب اليكس لو لم تكن مشتتة الذهن والبصيرة. بحث عن الخاتم في جيبه ثم حمله بيده قائلاً:
- هاتي يدك لألبسك اياه.
تراجعت الى خلف فيما راح يحدق فيها بهدوء. تساءلت في نفسها، لماذا لم يظهر فضولاً لمعرفة الأسباب التي جعلتها تغير رأيها؟ ان من عادته أن يناقش كل صغيرة وكبيرة؟ أجابته برهبة وتعثر:
- لا اقصد هذا النوع من الخطوبة.
- وكم توجد أنواع للخطوبة بحق السماء؟

- تشيس ، انت تعلم على أي اساس ستتم خطوبتنا .

- حسبت اني اعلم ذلك بناء على معرفتي لما بيننا ، انما اتضح لي الآن انك سوف تستعملين الخطوبة كدرع واق لسمعتك .

- الا تظن انني أحتاج شيئاً من الوقاية بعد الذي حصل ؟ ان والدي قادم و . . .

- آه ، الآن تسعين الى ارضاء والدك ؟

احست فجأة انها صغيرة جداً ويائسة جداً وتائهة في دوامة ، فقالت والحزن يعصر قلبها :

- كلا . . . انت لا تفهم يا تشيس . . . ابي ليس كذلك فهو لم يضطهدني ابداً بل كان يثق دوماً بحسن تصرفي ومعالجتي الصائبة للأمور .

- اذن ، لا تريدين أن تخيبي امله فيك ؟

- لا ادري كيف سينظر الى هذه الخطوبة لكنها ، على الأقل ، لا بد أن تضفي على الوضع طابع الاحترام .

- لا تقلقي اذن ، فبوسعي الامتثال لرجاء الآخرين اذا تناسب طلبهم مع مصالحي .

وقبل أن تتمكن من الاعتراض أخذ يدها النحيلة في يده ووضع الخاتم حول اصبعها . شهقت بذعر فتجاهل ذلك وقال متهكماً :

- هذه أول مرة أخطب فيها ولذا لم استطع حرمان نفسي من متعة إلباسك الخاتم . من يدري ، قد تكون المتعة الوحيدة في حياتي .

جذبت يدها منه وحدقت الى الخاتم بوجه شاحب . لقد لسعها بكلامه فردت له الصفعة بقولها :

- بعدما انتهي منه ، لا ريب أن دافينا ستعرف قيمته اكثر مني .

- لا ريب ستفعل .

- اوه !

تراجعت الى الوراء وكأنه صفعها وقد نسيت أنها هي التي طلبت لبس الخاتم . لكن تشيس تقدم منها معانقاً اياها بسرعة :

- ان كل خطوبة جديدة تمهر بعناق ، اليس كذلك ؟

سلخت نفسها من قبضته الا انها فوجئت به يقول بتهذيب :

- لنرجع الآن قبل أن يأتي اندرو باحثاً عنا .

استدارت وسارت الى جانبه زائغة البصر فأردف قائلاً :

- كان من الجائز أن يصلوا في وقت أبكر لو لم تحدث البرقية التي أرسلتها بعض الالتباس ، فلقد اعتقد الجميع أننا ذهبنا الى ماونت آيزا ولذا ظنوا أنني اخطأت في ذكر الاسم وبالتالي ظلوا يفتشون أمس في ذلك الاتجاه حتى غربت الشمس . هناك شيء آخر يا اليكس ، لقد أعلنت عمتي هارييت خبر خطوبتنا ، وأحسبها فعلت ذلك للحفاظ على سمعتك .

سارع اندرو الى تهنئتها بالخطوبة ثم أردف باسماً :

- تأخرت في التهنئة يوماً واحداً على ما اظن .

شكره تشيس بفتور ثم مد يد اليكس صوبه وقال :

- تأخرت أنت ربما ، لكن الخاتم كان معي ، كما ترى .

وهنا اتضح لأليكس أن الخاتم قد عزز قصة تشيس الى حد أزال كل شك وريبة . قال أندرو بأسى :

- يمكنك أن تتصور الحالة السيئة التي المت بالآنسة هارييت ، فتحطم الطائرة على اثر الخطوبة كاد يفوق احتمالها .

- ربما ، لكنها تحافظ دائماً على أعصابها .

- دائماً !

وافقه اندرو بحرارة وبدون أن يفطن الى قصد تشيس المختلف قليلاً عن مقصده .

أما اليكس فأدركت الفارق تماماً . لقد سار كل شيء بدقة متناهية كما لو انه خطط على يد خبير ، وهذا الخبير هو تشيس بالطبع ! شعرت بانها قد لا تلام على اعتقادها السابق بأنه تعمد اسقاط الطائرة اذ لا شيء يقف عند حدود قدراته الخارقة .

كان ابوها في كولابرا وقد أتى ليرحب بعودتها الى بيتها . هبطوا قرب البيت فهرعت الى والدها تحتضنه دامعة العينين وهمست بحرارة :

- ما أسعدني برؤيتك !

امها ، كذلك العمة هارييت والسيدة ياونغ بدا عليهن التأثر وأوشك اللقاء أن يتحول الى فيضان من الدموع الانثوية لو لم يبادر تشيس الى تسلم زمام الموقف . قال فوراً للسيدة ياونغ :

- خذيها الى غرفتها ، يجب أن تستحم وتنام فهي منهكة القوى .

فاعترضت العمة هارييت بقولها :

- لكن ، يجب ان نشرب نخب سعادتكما . الطفلة المسكينة تبدو متعبة الا انني أعلم من خبرتي السابقة مدى قوة أعصابها .

- ليس هذه المرة يا عمتي فلقد قاست تجربة مخيفة .

صمتت الآنسة مارشال فاغتنمت اليكس الفرصة وتسللت الى غرفتها . كان بودها أن تبقى كي تتحدث الى والدها على الأخص ، لكنها وجدت المواجهة مستحيلة . لا بد أن تشيس حدس هذا فأتاح لها الخلاص . ان حساسيته تذهلها احياناً ، فهو لم يسمح حتى لأمها بأن ترافقها ، بل ادخل الجميع الى غرفة المكتب وأغلق الباب .

نامت حالما ألقت رأسها على الوسادة ولم تستيقظ الا بعد أربع وعشرين ساعة . كان نوماً قلقاً أحست خلاله مراراً بوجود شخص يقف الى جانب سريرها ، وفي احدى المرات خيل اليها أن هناك يدين تلمسان شعرها ، وان هناك صوتاً خفيضاً عميقاً يهمس لها برقة . لا شيء محدداً في أي حال . وفي الصباح التالي صعقت حين نظرت الى الساعة واكتشفت انها نامت يوماً كاملاً ! ارتدت ثيابها على عجل ونزلت الى الطابق السفلي فوجدت الجميع يتناولون الافطار . دخلت الحجرة مهرولة فهب تشيس واقفاً على قدميه ووجهه بادي التعب . سحبت كرسيها المعتاد وهتفت بامتعاض :

- لماذا لم توقظوني ؟

- لا تجلسي هناك يا حبيبتي ، بل هنا ، الى جانبي .

ترددت لحظة ثم امتثلت لطلبه ، واندهشت اكثر حين وجدت نفسها تتقبل عناقه العفوي بضعف . أفلتها فجأة وكي تخفي اضطرابها ابتسمت للعمة هارييت ثم نظرت الى والديها . بدا ابوها مشرق الوجه ونشيطاً هذا الصباح . وبعد أن اطمأن الجميع الى صحتها ، قال لها مداعباً :

- اضطررنا الى الاحتفال بخطوبتك وأنت نائمة .

- آسفة .

لم تدر ان كانت تشعر بأسف فعلي وتحاشت النظر الى تشيس وهي تردف :

- بالطبع لدينا وقت كثير لاحتفال آخر ؟

أجاب والدها بكدر :

- للأسف ، علي أن اعود اليوم الى سيدني . هناك مؤتمر مهم يجب أن أحضره غداً ولولاه لرحبت حتماً بدعوة تشيس الى البقاء ردحاً . فالذي أراني اياه امس ، خلال الفترات التي كان يتوقف فيها عن زيارتك ، قد فتح شهيتي لرؤية المزيد . أرجو من كل قلبي الأ يبتلي بحمو ثقيل لن يستطيع التخلص من وجوده .

تبادل الرجلان ابتسامة ودودة أثبتت ميلهما الفوري الى بعضهما البعض فهبطت معنويات اليكس الى الحضيض . قالت تخاطب والدها :

- افكر بالذهاب معك يا بابا ان كنت لا تمانع .

فران صمت ثقيل كسرته امها بقولها :

- لقد قررت العودة معه يا اليكس . لا داعي لأن تأتي انت أيضاً .

لم يتدخل تشيس في الحديث لكن اليكس رأت يده تتقلص ، فعادت تقول بعناد :

- من الأفضل أن أذهب .

وهنا تكلم تشيس ليظهر بمظهر الرجل الحليم :

- هل تفضلين أن يعقد الزواج في سيدني ، يا اليكس ؟

اجابت بتردد :

- لست متأكدة . لست مستعجلة .

ابتسم تشيس للحاضرين وقال بصوت مهذب :

- انا مستعجل ، لكن اذا أصرت اليكس على الذهاب الى سيدني هذا اليوم فلتفعل . انا سأذهب أيضاً .

هزها قراره المفاجىء وانتابها احساس مسبق بحدوث مصيبة . حدقت اليه كالخرساء وبدأت تدرك الورطة التي قد تواجهها . فقالت العمة هارييت بانفعال وقد بدا واضحاً انها لا تريد فراقها :

- اليكس ، لم لا تبقين بضعة ايام اخرى ؟ من الطبيعي أن تفضلي الخروج عروساً من بيت اهلك في سيدني ، الا أن تشيس ليس رجلاً عادياً كما تعلمين ، ويمكننا اقامة حفل أضخم في كولابرا .

لم تدر اليكس كيف تهرب من نظرة تشيس القاسية وأجابت بعصبية :

- موعد الزفاف ما يزال بعيداً .

ـ بل سيكون قريباً .
كان تشيس يراقبها بتركيز شديد فراح قلبها يخفق مرتعباً . جمد بلا حراك وتسمرت عيناه في محياها بدون أن يكترث لوجود الآخرين . وهنا انقذت امها الموقف فقالت بتواضع غريب :
ـ لا يمكن أن افكر باقامة العرس بدون مشورتك يا آنسة مارشال . ان كان سيقام في سيدني فاقترح أن تلحقي بنا بعد بضعة ايام .
غادروا كولابرا بعد تناول الغذاء ومعهم تشيس ، اما العمة هارييت فتخلفت عنهم وهي تفكر جدياً بقبول دعوة انيد ، في حين حزنت السيدة ياونغ لأن اليكس سترحل مباشرة بعد الخطوبة وقد قالت لها وهي تودعها :
ـ جميع أهل الشمال عرفوا بالنبأ . الكل منفعل والكلام لم يتوقف ابداً .
ـ الكلام ؟
ـ اقصد كلام الراديو . خسارة انك سترحلين .
لما حان موعد الذهاب شعرت اليكس بالخسارة ايضاً لكن الوقت فات ولا يمكنها العدول عن قرارها . لم يدر بخلدها أن فراق كولابرا وأهلها سيمزقها بهذا الشكل . لو أن تشيس أحبها لبقيت هنا الى الأبد وما فكرت لحظة في الرحيل .
وصلت سيدني في حالة ذهنية مشوشة ، وفي المطار وجدا صعوبة في التهرب من حشد المصورين واضطرا الى السماح لهم بالتقاط عدة صور . اذهلتها هذه التجربة الجديدة بالنسبة اليها في حين ابتسم لهم تشيس مجاملاً وبدا راضياً بهذا الانتهاك لخصوصياتها . ولما سأله أحد الصحفيين عما اذا كان صحيحاً ما يقال بأن سن اليكس لا يتعدى التسعة عشر عاماً اومأ بالايجاب لكنه سارع بعد ذلك الى تهريبها وادخالها السيارة المنتظرة في الخارج . لدى وصولهم البيت دعته انيد للبقاء معهم . قالت ان المنزل فسيح وفيه غرف اضافية الا انه اعتذر شاكراً وأجاب انه يفضل الاقامة في شقته الخاصة . سرت اليكس لرفضه وقست نظرته حين لمح الارتياح في عينيها . وفيما هي تنظر اليه أدركت فجأة أنها تتعامل مع رجل قوي الشكيمة من الصعب أن يتغير . انسحب والداها من الردهة ليتيحا له توديعها على انفراد . حدق اليها بنظرة خطرة وقال بمرارة :
ـ ان اية خطيبة اخرى كانت سترحب بزيارتي في شقتي . لكني لن

ادعوك . سأخابرك غداً صباحاً .
ـ ان اردت .
ـ اريد ذلك وخير لك أن ترحبي بمخابرتي . يجب أن نخطط لحفلة الزواج . ام تراك نسيت ؟
ـ لا تدعني احتكر كل أوقات فراغك .
ـ لمن تريدينني أن اجير أوقات فراغي ؟
ـ انا اكيدة ان هناك اخريات يستأهلنها اكثر مني .
ـ اعرف نساء اخريات يفقنك دفئاً . قد أعمل بنصيحتك واتصل باحداهن .
ـ افعل ذلك !
بعد انصرافه ، جاءت آنا ، وهي خادمة قديمة جاءت مع انيد من انكلترا ، لترحب باليكس . قالت وهي تهز رأسها الشائب :
ـ لقد أرعبتنا الحادثة ، لكني كنت متأكدة أن السيد مارشال سيحميك . انه رجل شهم يا طفلتي .
فقبلتها اليكس بحرارة ثم لجأت الى غرفتها وهي تفكر في قدرته على احداث افضل الانطباعات في نفوس الآخرين . ان ذلك سيحرج موقفها جدا لدى فسخ الخطوبة وحيث سيشعر الجميع بالشفقة عليها لكونها خسرت رجلاً رائعاً على غراره ! المشكلة الآن ، انها لا تعرف كيف تفسخ الخطوبة . . . ام تراها ما عادت راغبة في تركه مهما فعل ؟ هذا ما همس لها به صوت خفيض في داخلها ، الا انها سرعان ما عنفت نفسها على هذا الهراء وقررت أنه من الخير لها الاستعجال في تركه !
في الصباح التالي اتصل بها هاتفياً وكانت ما تزال نصف نائمة . استدعتها آنا الى التلفون وهي تهمس بفرح :
ـ انه السيد مارشال !
ـ آسف لهذا التبكير ، لكنك كنت تتوقعين مخابرتي ولا شك .
ـ لقد بكرت جداً .
ـ اردت الاتفاق معك على موعد الغذاء قبل أن يعرف اصدقاؤك القدامى بعودتك ويبدأون الاتصال بك .
ـ احسبهم سيفعلون في الظروف الراهنة .

ذكر لها اسم مطعم راق وأردف قائلاً:

- سألاقيك هناك في الواحدة ، ان كانت حالتك الصحية تسمح لك بالخروج .

- انا بخير . شكراً . لكن هل تظن أن هناك موجباً لهذه المظاهر ؟

حنينها الى رؤيته طغى على كبريائها فردت متنهدة :

- سأكون هناك .

لا بد انه سمع تنهدها اذ عاد يسألها بتهذيب :

- ماذا ستفعلين هذا الصباح يا اليكس ؟

- لا شيء مهماً . وأنت ؟

- سأحاول انجاز بعض الأعمال لأمنع نفسي من التفكير فيك .

قد تكون هناك أسباب عديدة تدعوه الى التفكير فيها ، أهمها انها تزعجه وتثير اعصابه . أغرقتها التعاسة فحدقت بصمت الى التلفون . لكنه سرعان ما أذهلها بسؤاله المفاجيء :

- اما تزالين تحبينني ؟

غصت بريقها ثم ارغمت نفسها على الاجابة بخفة ومرح :

- هذا السؤال لا يوجّه الى فتاة على التلفون !

- اذن سأطرحه عليك هذا المساء .

- اهناك سبب خاص ؟

- كنت قبل قليل ، أتأمل صورتك المنشورة في صحف الصباح . انك تبدين فيها خائفة حتى الموت وليس كخطيبة واقعة في الحب . . . انما هناك شيء في وجهك . . .

الحب ؟ انه لم يأت على ذكره من قبل ، فلم يذكره الآن ؟ خفق قلبها رعباً وقالت محتجة :

- تشيس ، الساعة هي الثامنة صباحاً ، الا يمكننا أن نؤجل هذا الحديث ؟

- اجل نستطيع !

هتف بصوت عنيف كأنه يتوعدها وأقفل الخط . طوال فترة الافطار التي لم تستطع أن تأكل خلالها شيئاً ظلت تفكر في سؤاله عما اذا كانت ما تزال تحبه . هل يعقل انه شك في أي شيء ؟ اذا اكرهها على الاعتراف بحبها له

فستكون الضربة القاضية ، وعليها أن تتفاداها بأي ثمن .

في الساعة الواحدة دخلت المقصف الفخم حيث تواعدت مع تشيس على اللقاء . كانت ترتدي بنطلون جينز وقميصاً بسيطاً تعمدت لبسهما على أمل أن تثير فيه غيظاً شديداً يدفعه الى رفض رؤيتها ثانية . بدت كمراهقة جميلة بشعرها المربوط الى خلف وبحقيبتها المعلقة على كتفها النحيلة .

اقتربت منه بتحد ونظراتها تحوم بنكد على بزته الفائقة الأناقة والتي يبدو فيها كرجل أعمال نافذ مرموق . وحتى في ثياب العمل ، في كولابرا ، يبدو وكأنه ولد ليحكم امبراطورية جبارة . انها صورة تثير فيها السخط والشعور بالهزيمة . وقفت امامه وهي غير واثقة من رأيه في لباسها العادي . لم يقل شيئاً الا أن الغضب المتقد في عينيه أشعرها للحظة برعب مجمد . ثم عانقها بسرعة أمام أنظار الحاضرين المختلسة وهمس قائلاً :

- اريد افهام الناظرين الينا أنني احبك بغض النظر عن نوع الثياب التي ترتدين .

كان صوته جافاً الى حد أدركت معه انه لا يضمر لها أي حب . لسعها تهكمه في الصميم فشحب لونها . تأمل وجهها المصدوم وقال بايجاز :

- ان الاحداث تتوالى عليك بشكل مرهق . وتحتاجين الى شراب منعش .

- أليس الوقت باكراً لذلك ؟

- ليس عندما يعاني المرء من مشاكل .

ان كانت تسبب له مشكلة فلم لا يخلي سبيلها ليستريح منها على أهون سبيل ؟ وسألها فجأة :

- ماذا فعلت هذا الصباح ؟ أين ذهبت ؟

- لم اغادر البيت . جاء دون فيشر لزيارتي .

اكفهر وجهه وبدا قادراً على القتل . قبض بعنف على رسغها وجعر قائلاً :

- لماذا زارك ؟

- جاء ليراني . انك تؤلمني يا تشيس !

- احقاً ؟ كيف درى بعودتك ؟

- انه . . . انه يقرأ الصحف . . .

ضرب الطاولة بقبضته فارتجفت المائدة وعاد الحاضرون ينظرون صوبهما . لم يأبه لذلك وهمس بصوت اجش :

ـ لقد تحملت منك ما فاق طاقتي على الاحتمال ! لا أريدك أن تكلمي دون فيشر مطلقاً . مفهوم ؟

كان واضحاً انه يبذل جهداً كبيراً للسيطرة على غضبه العنيف لكنها شعرت أنها تخوض معركة مصيرية ، اذعنت له الآن سوف تخسر استقلاليتها الى الأبد . قالت لتعزز موقفها الدفاعي :

ـ يجب ان اتعامل بتهذيب مع الناس .

ـ تهذيبك مع الناس شيء وتشجيعك للرجال الآخرين شيء آخر !

ـ انا لا اشجع رجالاً آخرين ! واذا كنت أفعل ذلك فعلاً ، فما شأنك أنت ؟ انك لا تملكني ولا تحبني حتى . . .

ـ انا لا أمتلكك بالمعنى الحقيقي للكلمة انما لدي حق شرعي عليك .

ـ لا ادري ماذا ستفعل . . .

ـ انا ادري ما أود فعله !

ـ اني جائعة . . . الن نأكل ؟

ـ ان شئت .

قالها بخشونة وعدم اكتراث ثم راح يحدق الى شفتيها المرتجفتين باهتمام واضح . غمرتها قشعريرة محرجة فهمست :

ـ ارجوك ! انك تلفت الينا الأنظار !

ـ انهم يحدقون اليك اكثر لارتدائك هذه الثياب . لا تكرري هذه الغلطة في المستقبل .

هبت واقفة بحنق ولم تنظر اليه وهما يدخلان قاعة الطعام . سار الى جانبها صامتاً لكن الجو بدا مثقلاً بأشياء كثيرة لم يذكراها . قادهما رئيس الخدم الى المائدة ولحظت اليكس كيف ارتفع حاجباه قليلاً وهو يرمق بنطلونها الجينز . ولفرط انشغالها بالسيطرة على عواطفها لم تر دافينا وايلد الا حين توقفت أمام تشيس . ابتسمت لهما بعذوبة وقالت :

ـ عذراً على تطفلي . أردت فقط أن اهنئكما . قرأت الخبر في الجرائد .

نهض تشيس واقفاً وابتسم لها عندما قبلته بدفء . . . هل كل هذا جزء من التهنئة ؟ ثم قبلتها دافينا على خدها لمجرد منع العتب . استدارت ثانية

الى تشيس فسألها :

ـ هل معك أحد ؟

ـ كان من المفروض أن التقي اخي الا أنه أرسل يعتذر عن الحضور . كنت على وشك المغادرة عندما رأيتكما . وبالطبع رأيت من الواجب أن القي عليكما التحية .

فقال بدون أن يستشير اليكس :

ـ لم لا تتناولين الغداء معنا ؟

احساس اليكس بيأس متزايد اوحى لها بأن دافينا قضت خمس دقائق في الغنج والتدلل حتى سمحت لتشيس باقناعها ، وان خمس دقائق اخرى مرت وهو يجلسها الى المائدة برقة ويزودها بالشراب . انها ممثلة بارعة بالفعل وذات جمال اخاذ جذب اليه نظرات تشيس كالمغنطيس .

تجاهلها كلاهما طوال فترة الغداء والتي طالت الى حد مزق اعصابها . لقد تحدثا عن اناس لا تعرفهم وبعضهم تعرفه بالسمع . كانت دافينا تفيض بالاشراق واستجاب لها تشيس بسحر من عنده . اما جرعة الاذلال الاخيرة فقد شربتها حين وافق تشيس على ايصال دافينا الى استديوهات التلفزيون حيث تعمل . اجل ، كم هو مذل أن يستدعي لها سيارة تاكسي وتسمعه يعطي عنوان بيتها للسائق ثم يقول لها بتهذيب :

ـ سأخابرك في المساء .

أخذت تنظر ببصر زائغ من نافذة التاكسي ، وبدت لها سيدني كشريط ضبابي سريع بأبنيتها الشاهقة ، منتزهاتها ، ضواحيها ، انهارها وشاطئها . . . وفي الطريق قررت ما ستفعله . كان ابوها غائباً يحضر المؤتمر وامها تزور بعض الأصدقاء . هرولت الى غرفتها ووضبت ثيابها في حقيبة . ثم نزعت خاتم الخطوبة ولفته في رسالة كتبتها ووضعت الرزمة الصغيرة في مغلف عنونته الى تشيس . وفي الأخير وضعته في مكان بارز في الطابق السفلي والى جواره رسالة مختصرة الى امها .

كانت آنا نائمة كعادتها بعد الغداء وهكذا غادرت البيت بسهولة . قصدت المطار بلا تردد وبعد ساعتين وصلت الشقة في ملبورن اذ استقلت احدى الطائرات فوراً . كان المفتاح ما يزال في حوزتها ، وبسبب انهماك الجميع بزفاف روبي ظل الايجار ساري المفعول . التقت جارتها لدى

وصولها فأخبرتها أنها تعتزم البقاء يوماً أو اثنين ثم دخلت الشقة وأوصدت بابها .

تشيس لن يتبعها ، فقد أوضحت في الرسالة التي تركتها أن كل شيء انتهى بينهما ، وهي شبه متأكدة ، من الطريقة التي عامل بها دافينا ، انه سيرحب بخلاصة من الوضع المحرج بأقل جلبة ممكنة .

دخلت المطبخ وصنعت فنجان شاي ، ثم ضجرت من تكاسلها فشرعت تفرز أغراضها وثيابها استعداداً لتوضيبها في حقائب . عملت حتى التاسعة مساء ثم طغى عليها التعب فتوقفت . قررت أن تستحم وتتناول بعد ذلك عشاء خفيفاً ثم تنام ، فالنوم طيلة الليل سيساعدها على نسيان تشيس وغداً ستشعر حتماً بالتحسن .

حالما خرجت من مغطس الحمام رن جرس الباب . لا بد أنها السيدة براون جارتها ، اذ وعدت أن تطل على اليكس لتطمئن الى وضعها .

تنهدت وتناولت روبها الحريري . ارتدته وخرجت من الحمام واذ بها ترى تشيس يعبر البهو . لم تذكر أنها شاهدت وجهه قاسياً وشاحباً كما هو الآن .

تسمرت في مكانها من هول المفاجأة ، فهتف بها حانقاً :

ـ البسي ثيابك ومن ثم استمع الى تبريرك . مؤكد بأنك ستجدين شيئاً تقولينه .

ـ ماذا جئت تفعل هنا ؟

ـ جئت أبحث عن خطيبتي . وأنت ، لم جئت ؟

ـ لقد أوضحت لك ذلك في الرسالة .

وعلى حين غرة انفجرت تبكي . هتف اسمها بيأس ثم احتوى جسمها النحيل بين ذراعيه وقال من قلب محروق :

ـ اواه يا اليكس ، اياك ان تهربي ثانية بهذا الشكل ! لم أعرف أين أنت . كان لدي أمل وحيد هو أن أجدك هنا . كدت أفقد عقلي .

تعلقت به ملهوفة وسألته وهي تنتحب :

ـ لماذا شعرت هكذا ؟ يجب أن نواجه الحقائق يا تشيس ، فانت لا تحبني !

ـ ليتك تدركين عمق حبي لتعي اني ما عدت اطيق احتمالاً !

لمس خدها المبلل وراح يتأملها بلوعة وكآبة . ثم أبعدها عنه وأجلسها

على مقعد كما لو انه لا يأتمن نفسه على التحدث اليها بمنطقية وهي قريبة منه الى ذلك الحد :

ـ لا داعي لأن تتظاهري بالفرح لرؤيتي . انت منفعلة ولا شك ، لأني لحقت بك الى هنا ، لكني ما استطعت ان افعل شيئاً آخر .

تطلعت الى وجهه المطل عليها وقالت بما يشبه الهذيان :

ـ حسبتك . . . تحب دافينا ؟

ـ كلا ، انها لا تعني لي شيئاً . كنت أحاول اثارة غيرتك . . . اليكس ، أعرف انك لا تضمرين لي حباً ، لكن هناك اوقات تدفع الرجل الى فعل اشياء يائسة .

عجزت عن الكلام امام نظرته المحترقة وعواطفه السافرة تقريباً . . . لم تفطن ابداً الى حقيقة مشاعره في ساعة الغداء . . . كان هو الآخر يتعذب مثلها . ان كان يحبها كما يقول فلا بد انه كابد الكثير مثلما كابدت هي وربما اكثر ، فعذابه مسطر على وجهه بل محفور في ثناياه المتقلصة .

غامت عيناها بالحزن ومزق الوجع قلبها . توسلته بعينيها الزرقاوين وهمست بصدق كامل :

ـ سامحني يا حبيبي . انا أيضاً أحبك جداً . لو لم أكن غارقة في الشفقة على نفسي لكنت حزرت انك تحبني بدورك .

ـ متى أحببتني ؟ منذ متى ؟

ـ لست متأكدة . . . قبل أن تأتي بأمي الى كولابرا . . . اعتقد أنني أدركت عمق حبي لك في أثناء غيابك . كنت انوي الاعتراف لك به لدى عودتك ، لكن رؤيتي المفاجئة لأمي احدثت لي صدمة عنيفة .

ـ وانت كرهتني آنذاك ، اليس كذلك ؟ جئت بها الى كولابرا لأني اقتنعت ، بعد لقائي بها ، ان مخاوفك لم تكن في محلها . كنت احاول الاثبات ان زواجك مني كفيل بازالة تلك المخاوف . املت أن تكون لديك ثقة كافية بمقدرتي على حمايتك من سيطرة امك ومن اشياء اسوأ بكثير . لكن عندما رأيت وجهك وقتئذ أدركت ان كل خططي قد كتب عليها الفشل من البداية ، اذ حسبت أنت انني دعوتها الى كولابرا لتزوجك مني بالقوة .

ـ لكنَّ شيئاً ما حدث في نفسي وأزال خوفي منها . على الأقل ،

www.liilas.com ريما

استطعت وقتها أن انضج بذلك المقدار . لا اعتقد اني سأرهب جانبها في المستقبل ، وسنعرف كيف نتفاهم مع بعضنا من اليوم فصاعداً .

ـ عظيم ، وأين سيكون موقعي بالنسبة اليك ؟

ـ ان . . . سوء التفاهم بيننا لم يكن كله بسبب امي ، اذ لازمني الظن بأنني كنت اضجرك .

سأل باستغراب :

ـ تضجرينني ؟ ما الذي اوجد فيك هذه القناعة ؟

ـ سمعتك تقول ذلك لروبي بعد خروجنا معاً لأول مرة .

ظهرت الدهشة وجهه وقال متنهداً :

ـ يا الهي . . . كيف صدقت ذلك يا اليكس ؟ لقد انجذبت اليك من البداية انما ادعيت الضجر منك لأمنع روبي من ايذائك لأن هذا ما كانت ستفعله لو انها فطنت الى اهتمامي بك . خشيت لسانها اللاسع الذي اكتشفت بنفسك سمومه على الأرجح . قلت ذلك لأحميك منها لأني لم اشأ أن اذعرك قبل ان تتاح لي الفرص الكافية للتعرف اليك جيداً .

جمدت يده فجأة على كتفها وسألها مقطباً :

ـ اعتقدت انك تضجرينني ومع ذلك رضيت بأن تخرجي معي ثانية . لماذا ؟

ـ قصدت الانتقام منك باضاعة وقتك . كنت مصممة على عدم الذهاب الى كولابرا كما طلبت مني أن افعل لانقاذ سمعة روبي ، الا انني قررت أن اتأخر في ابلاغك رفضي كي اعذبك ردحاً وانتقم لكرامتي الجريحة .

ـ ايتها الشيطانة الصغيرة ! لقد نجحت في ذلك تماماً وأوقعتني في الحيرة مراراً . انما لماذا غيرت رأيك فجأة ورضيت بالذهاب ؟

ـ لأن امي هددت وقتها بالمجيء الى ملبورن مع دون فيشر .

ـ وهكذا هربت منها ، ثم زدتك حيرة وارتباكاً عندما عرضت عليك الزواج .

ـ اجل ، وعرضته باسلوب استبدادي فلم اقدر ان اصدق بانك كنت تحبني . . .

ـ ليتني كنت مقتنعاً بعمق حبي لك كما الآن . أوهمت نفسي آنذاك ان

الوقت حان لأتزوج ولأنجب اولاداً ، كنت اتهرب من مواجهة الحقيقة ، وقوعي في حبك بشكل مستميت . . . صحيح انني أصبحت على مر الزمن خبيراً في مصارعة التجارب المصيرية والتغلب عليها انما تجربة الحب الحقيقي كانت جديدة بالنسبة الي .

فكرت اليكس في الوقت الذي هدراه سدى وفي العذاب الرهيب الذي قاسياه فغشيت الدموع عينيها وقالت تعاتبه :

ـ لو اني دريت بحبك لكنت اعترفت لك بحبي .

ـ قد ينطبق علينا قول المثل ، من كان بيته من زجاج لا يرشق الآخرين بالحجارة . ومع ذلك ، أطلب منك السماح يا حبيبتي اذ حاولت ارغامك على تلبية رغباتي وكان الفشل حصادي . ليلة احترقت الطائرة لم اجرؤ على الدنو منك لعجزي عن كبح عواطفي . ثقي انني لم اخطط لاسقاط الطائرة اذ لا يمكن أن اقدم على عمل متهور كهذا ، لكنني شعرت بالذنب لأني كنت اخبرت امك وعمتي اننا قد نعود الى كولابرا كخطيبين . ومع ذلك اغواني الشيطان . . . هل تتصورين ما كان سيحدث لو لم يصل اندرو في الوقت المناسب ؟

ـ انا ايضاً ندمت على ذلك الصباح انما لأسباب مختلفة . . .

حدق اليها بتوق وهتف بصوت اجش :

ـ اليكس ! اواه يا حبيبتي الصغيرة !

عانقها بحرارة المرة تلو المرة ثم همس بأنفاس متقطعة :

ـ اليكس ، أخبرت امك انني سأتزوجك غداً في حال وجدتك . وهذا ما قلته أيضاً لبعض الصحفيين في المطار . لا ارغب الآن في تركك لكنك تعلمين السبب الذي يحول دون بقائي . انما لن أتركك قبل أن تعديني بعدم الهرب ثانية .

اصطبغ محياها بحمرة جميلة وتطلعت اليه بثقة قوية شعت من عينيها الزرقاوين وهي تهمس :

ـ حبيبي ، سيشرفني أن اصبح زوجتك يوم غد ولا أريدك ان تتركني ابداً . . . ابداً . . .

لم يقدر ان يقاوم جمالها . كان بوسعه أن يحاول الا انها سمعت فقط هتافه المختنق المجنون حين الصقها بصدره الخافق وهمس بانفعال :

www.liilas.com ريما

ـ احبك . احبك . أنت امرأتي وسأنتظر على نار لحظة ارتباطنا الكامل .

www.liilas.com ريما